

الإمام  
الدكتور عبد الحليم محمود



إمام التابعين  
سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ



دارالمعارف

لو رأى رسول الله ﷺ  
هذا (يعني سعيد بن المسيب)  
لسره

عبد الله بن عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المؤمنين ، وخاتم المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين . وبعد : فإن في تاريخنا الإسلامى كثيراً من العلماء الذين كانوا مثلاً علياً في الخلق ، كما كانوا أعلاماً يهتدى بهم في العلم .

لقد أخلصوا قلوبهم لله تعالى ، وأسلموا له وجوههم ، فصاروا مثلاً للعلم والخلق ، وصاروا نماذج إنسانية كريمة حققت ما أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ للبشر من هداية ترتفع بهم إلى القرب من الله تعالى .

ولقد روى التاريخ عن هؤلاء روايات تعبر عن بطولات علمية ، أو بطولات حربية ، أو بطولات سامية في الخلق والشجاعة ، أو بطولات تجمع بين كل ذلك .

وفي الجيل الذى رباه الرسول ﷺ القمم العليا لهذه البطولات ، وإن في الأجيال التى تلت ذلك - من التابعين ، وتابعى التابعين - مثلاً علياً يمتلئ بها التاريخ الإسلامى على مر الزمن ، كما كان الأمر مثلاً فيما يتعلق بالإمام الربانى الزاهد : « عبد الله بن المبارك » ،

أو فيما يتعلق بالعارف بالله : « شقيق البلخي » أو تلميذه : « حاتم الأصم » وعشرات ومئات وآلاف غيرهم .

ولقد أدب الله تعالى رسوله فأحسن تأديبه : « أدبنى ربي فأحسن تأديبي » .

رباه بالقرآن ، ورباه بالوحي ، في جميع ألوانه ، ثم قال له : ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

وربى رسول الله ﷺ جيلاً من البشر ، كله بذل وتضحية ، كله إخلاص لله في اليسير من الأمور والعظيم منها ، وكانوا قدوة حسنة للأجيال من بعدهم .

ولقد كتب كثير من الناس كتباً تصور هذه الجوانب : بعضها يدور حول شخص واحد ، وبعضها يروى قصصاً مختلفة عن كثيرين كلها بطولات نادرة في شتى نواحي البطولات ، من هذه الكتب ، كتاب : « مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام » ألفه الأستاذان : « علي شحاته » و « أحمد رجب عبد المجيد » ، قرأت هذا الكتاب النفيس أكثر من مرة ، وكان فيما قرأت قصتين عن الإمام « سعيد ابن المسيب » كانتا من الدوافع التي جعلتني أفكر في الكتابة عنه .

أما القصة الأولى : فإنها تتصل بالخلافة ، وستحدث عنها بتفصيل في فصل خاص ، وفي مقدمة القصة في كتاب « مواقف حاسمة » كتب المؤلفان ما يلي : كان عبد الملك بن مروان

---

(١) القلم : ٤ .

« ٦٥ - ٧٦ هـ » يرى نفسه من أفقه الفقهاء في عصره ، ولكنه كان يريد من العلماء ومن الناس أن يكتفوا منه بالاستقامة على الشرع في كل شيء ، بشرط أن يتسامحوا معه ، فيما يتصل بالشئون السياسية وما يتخذ من الوسائل لاستبقاء الملك ، وتسييره في أسرته وبنيه ؛ في حين كان علماء الإسلام يرون أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأن التهاون في ناحية معينة ستجر إلى التهاون في نواح أخرى ، حتى يتسع الخرق على الراقع .

ومن هؤلاء العلماء : « سعيد بن المسيب » أحد الفقهاء السبعة في عصر التابعين ، ومن أشراف « بني مخزوم » ا هـ .

لقد كان سعيد بن المسيب يرى - كما يرى كل مسلم صادق في إسلامه - أن الإسلام « كل لا يتجزأ » إذ أن دعوة الإسلام عنده كما هي عند كل المصلحين دعوة كاملة تامة ! .

إنها دعوة تتضمن التشريع والعقيدة والأخلاق كما يقول سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾<sup>(١)</sup> .

تمت صدقاً في العقيدة ، وتمت عدلاً في التشريع ؛ فمن انحرف بالدعوة أو عن الدعوة فإنما ينحرف عن الصديق وعن العدل ، وقد كانت دعوة « سعيد بن المسيب » رضي الله عنه كاملة غير منقوصة ! .

أما القصة الثانية : فإنها تتصل بزواج ابنته ، لقد خطبها

---

(١) الأنعام : ١١٥ .

« عبد الملك بن مروان » لابنه ، فرفض « سعيد » وأثر رجلاً صالحاً فقيراً - وقدمه على ولي العهد ، وقد كان الأساس الوحيد عند « سعيد » فى هذا الأمر - وفى جميع معاملاته مع الناس : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وسيأتى إن شاء الله تفصيل القصة .

إن هاتين القصتين ترشدان إلى أن الإمام « سعيد بن المسيب » ما كان يسير فى حياته على الوضع الذى يسير عليه جمهور الناس ؛ وإنما كان يقصد - بكل ما يأتى وما يذر - وجه الله تعالى . ! لقد كان يفضل الموت فى سبيل الله والحق على إرضاء السلطان مهما كانت وسائل إغرائه ، وهو ما صورته القصة الأولى .

ولقد ازدري ما استعبدت الدنيا به الناس من المال والسلطان ، وإن كثيراً من الناس يحاول بشتى الطرق أن يصل إلى المال ، وإلى السلطان والجاه بحيث يصبح عبداً لذلك ! .

وفى سبيل المال ، وفى سبيل السلطان يتطاحن أهل الدنيا ، ويضحون بالمثل والمبادئ والأخلاق ، فتسيل الدماء ، ويتعادى الإخوان والأصدقاء .

ولكن « سعيد بن المسيب » أنف أن يتزل إلى هذا المستوى ، وخلصت نفسه من العبودية للمال والسلطان ، وأثر الله تعالى عن كل ما عداه ! .

ومن أجل إثارة الله تعالى عن كل ما عداه : هذا الإيثار الذى

---

(١) الحجرات : ١٣ .



كان طابعاً له وشعاراً أحببنا أن نقدمه لشبابنا : مثلاً يحتذى ؛ فى النبل والفضل ، وأن نقدمه للإنسانية : أسوة فاضلة للهداية والافتداء وأن نقدمه للعلماء ، نموذجاً للاستمسك بما يراه حقاً ، لا ييالى بالموت فى سبيله ، وأن نقدمه منارة للسالكين سبيل الحياة الإيمانية ومشعلاً يضيء للباحثين عن طريق الهداية .

لقد صبح العزم على أن أكتب عن « سعيد بن المسيب » ...  
وأخذت أجمع المراجع ، من هنا ، ومن هناك ، وأدون الملاحظات من هنا ومن هناك ، وأبحث ، وأتفحص ، وأختبر ، وأخطط وأكتب . ولما أوشكت على الفراغ من كل هذا إذا بأمر ما كنت أتوقعه . وذلك أننى سافرت إلى « يوغوسلافيا » لحضور حفل تنصيب شيخ علمائها ، وهناك التقيت « بالأستاذ نافع قاسم » رئيس ديوان الأوقاف بالعراق ، وبينما نحن نتحدث عن مطبوعات مديرية الأوقاف هناك ؛ إذ به يقول : ... طبعنا جزأين من ( فقه سعيد بن المسيب ) ...

لم أكن قد سمعت بهذا الكتاب من قبل ، فأخذت أسأل ، وأستفسر ... وأخذت وعداً من الصديق الفاضل ، أن يرسل لى نسخة فور وصوله إلى العراق .

وبرئ الصديق بوعده ، وأخذت أتصفح الكتاب ، وعلمت من قراءتى أن الكتاب أساسه رسالة دكتوراه ، نوقشت بجامعة الأزهر . والكتاب مجهود موفق ، ودراسة متأنية ، عميقة ، لفقه الإمام « سعيد » مع مقارنة لفقه الأئمة الآخرين ، وواضح أن المؤلف الفاضل

« الدكتور هاشم جميل عبد الله » قد بذل كل ما يستطيع ، حتى تكون الدراسة مستوفاة .

وقد أفادني هذا الكتاب النفيس ثقة في اتجاهي في البحث ، وفي طريقتي في الدراسة .

ولم يكن هدفي الأساسي من - الكتابة عن الإمام - الجانب الفقهي منه ، وإنما كان هدفي أن أبرز هذه الشخصية باعتبارها من القمم : في الخلق الكريم ، والعلم النافع ، والتوكل على الله تعالى ، توكلًا صادقًا : توكل المقرين ، توكل الربانيين ، من أولياء الله الصالحين .

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت ، وأرجوه سبحانه أن يهدي لهذا الكتاب ، ويهدي به .

كما أرجوه سبحانه أن يحيط الإمام بفيض من رحمته ورضوانه ، وأن يجزي كل من كان على سنته - سنة رسول الله ﷺ - خير ما يجزي به العاملين في سبيله ! إنه سميع قريب مجيب .



## الفصل الأول حياته

(١) حياته :

إن عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان يقول عن سعيد بن المسيب :

« لو رأى رسول الله ﷺ هذا لسهه » ، مشيرًا إلى سعيد .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يحب سعيدًا ويقدره ، وبلغ من تقديره له أنه كان يسأله عن قضاء عمر بن الخطاب - والده - وأحكامه رضى الله عنهم أجمعين ، بل يقول « يحبى بن سعيد » كما يروى « ابن سعد » فى طبقاته :

كان « عبد الله بن عمر » إذا سئل عن الشئ يشكل عليه قال : « سلوا سعيد بن المسيب فإنه قد جالس الصالحين » . ويروى المؤرخون لسعيد أن ابن عمر رضى الله عنه سأله رجل عن مسألة ، فقال له : إيت ذلك فسله - يعنى « سعيد بن المسيب » - ثم ارجع إلى وأخبرنى .

ففعل ذلك ، فأخبره ، فقال :

ألم أخبرك بأنه أحد العلماء ؟

وهذا التقدير من « ابن عمر » رضى الله عنه يتناسق مع تقدير المؤرخين « لابن المسيب » ، وسنذكر من ذلك الكثير بإذن الله . ولقد ولد « سعيد » فى المدينة المنورة ، ولد لستين مضتا من خلافة « سيدنا عمر بن الخطاب » ، وفى نهاية خلافة « سيدنا عمر » كان سنه ثمانى ستوات تقريباً ، ومن ذكرياته عن « سيدنا عمر » وهو فى هذه السن المبكرة قال :

سمعت من « عمر » كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى - كان عمر إذا رأى الكعبة قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام » . ويتحدث مرة أخرى - فيما رواه « ابن سعد » بسنده عن « بكير بن أحنس » - فيقول : سمعت عمر على المنبر وهو يقول : « لا أجد أحداً جامع فلم يغتسل ، أنزل أو لم ينزل ، إلا عاقبته » ، لقد سمع « سعيد » من « عمر » فى بواكير حياته ، وحفظ عنه ، وليس ذلك بغريب ، فقد كان سعيد صاحب ذاكرة قوية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان « عمر » مهيباً يسترعى الانتباه الشديد ، وكان ذا صوت جهورى ، يقرع الأسماع ويملوها .

أما والده فإنه « المسيب » وهو صحابى جليل مشهور ، من المهاجرين ، ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم :

﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم﴾ (١)

---

(١) الفتح : ١٨ -

وقد اختلف المؤرخون في فتح الياء وكسرها في « المسيب » ،  
وحيثما نقرأ في كتاب يضع الشكل على الحروف فإننا نجده أحياناً  
يضع على الياء فتحة ، وأحياناً كسرة ، وأحياناً يضع فتحة وكسرة  
في آن واحد .

ويقول « علي بن المديني » : أهل العراق يفتحون الياء ، وأما  
أهل المدينة فإنهم يكسرونها ، أما سعيد نفسه ، فإنه كان يفتح الياء  
ولكنه لم يرو عنه كسرها .

وقد روى « سعيد » عن أبيه بعض الأحاديث ، وكان مما رواه  
الشيخان بسندهما عنه قال :

حدثني أبي ، أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة  
قال : فلما خرجنا في العام المقبل نسيناها ، فخفي علينا مكانها .

و « نسيناها » هذا كان بتقدير من العليم الخبير حتى لا تُقدَّس ،

وطال عمر المسيب حتى حضر فتوح الشام .

أما مهنته التي كان يتكسب منها فإنها - كما هي عادة الغالبية  
الساحقة من القرشيين - التجارة .

ماذا ترك « المسيب » لابنه سعيد من مال ؟

ذلك ما لا نعلمه .

متى مات « المسيب » بالضبط ؟ . ذلك ما لا نعلمه أيضاً .

وَجَدَ « سعيد » هو حَزَنٌ ، وقد أسلم والده قبل جده ، وذلك

أن جده أسلم عام الفتح ، ولكن إسلامه وإن جاء متأخراً فإنه أبلى بلاء حسناً في الجهاد ، وحضر موقعة اليمامة واستشهد فيها .

وكان استشهاده - إذن - في خلافة أبي بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، وهذه الأسرة من « مخزوم » ، وقد كان من « مخزوم » سيدنا خالد بن الوليد » ، ومخزوم مشهورة بالشجاعة ، ولا غرابة في أن يكون والد « سعيد » وجده قد ساهما في الجهاد ، وأن يكون جده قد استشهد فيه ، أما سعيد فإنه خرج كأسلافه للغزو حتى في أخريات عمره .

روى عن الزهري قال :

خرج « سعيد بن المسيب » إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل ، صاحب ضر ، يسيرون إلى قوله تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾<sup>(١)</sup> .

فقال سعيد :

استنفر الله تعالى : الخفيف والثقيل . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾<sup>(٢)(٣)</sup> .

---

(١) الفتح : ١٧ .

(٢) التوبة : ٤١ .

(٣) يقول الله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

= وعن ( مسلم بن صحيح ) قال : أول ما نزل من براءة ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ ...  
لقد فهم أسلافنا رضوان الله عليهم هذه الآية على وضعها كما أحب الله ورسوله  
وكما يدل عليه التعبير القرآني الكريم .

يروى صاحب محاسن التأويل : أنه لما كانت البعوث إلى الشام قرأ ( أبو طلحة )  
رضي الله عنه سورة براءة : حتى أتى على هذه الآية ، فقال :  
( أرى ربنا استنفروا شيوخاً وشباباً ، جهزوني يا بنى ) .

فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر  
حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ..

فقال : ما سمع الله عذر أحد ، ثم خرج إلى الشام للجهاد اهـ .  
أما فارس رسول الله ﷺ الصحابي الجليل ( المقداد بن الأسود ) فإن مواقفه في  
الجهاد في سبيل الله معروفة مشهورة ، ومن مواقفه الخالدة أنه كان من أروع المتحدثين  
يوم أن استشار الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار في أمر الحرب ، لقد قال يومئذ :

( يا رسول الله ، امض لما أراك الله فتنح معك . والله لا نقول لك كما قال بنو  
إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا فاعدون ، ولكن : ( اذهب أنت  
وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ) فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد -  
موضع بأقصى اليمن - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

إن فارس رسول الله ﷺ هذا ، رآه رجل بمحضر وقد كبر في السن ونالت منه  
الشيخوخة ، ومع ذلك فقد كان متجهراً للغزو ، فقال له : قد أعذر الله إليك ..

فقال : آيت علينا « سورة البعوث » ( التوبة ) : « انفروا خفافاً وثقالاً » .  
والمسلمون يعرفون ( أبا أيوب الأنصاري ) ويعرفون فضله وإخلاصه لله  
ولرسوله ﷺ إنه كان يقرأ هذه الآية الكريمة ثم يقول : ( فلا أجدني إلا خفيفاً أو  
ثقيلاً ) .

ويروى - ( الإمام الطبري ) - بسنده عن ( حبان بن زيد ) قال : نفروا مع ( صفوان بن  
عمرو ) - وكان والياً على حمص - فلقيت شيخاً كبيراً هرمًا - أي بلغ من الكبر عتياً - قد  
سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت :  
يا عم ، لقد أعذر الله إليك .. فرفع حاجبيه فقال : يا ابن أخي ، استنفروا الله  
خفافاً وثقالاً ، من يحبه الله يتليه ، ثم يعيده فيتليه ، إنما يتلى الله من عباده من شكر ،  
وصبر ، وذكر ، ولم يعبد إلا الله ..

= ومن الحق أن تقول : إن كلمة الله تعالى : ﴿ خفافاً وثقالاً ﴾ .

= كلمة جامعة .. فهي تعني : شباباً وشيوخاً ، أغنياء وفقراء ، مشاغيل ، وغير مشاغيل ، نشاطاً وغير نشاط ، ركباناً ومشاة ..  
 إنها تعني : انقروا على كل حال أنتم عليه من يسر أو عسر ، ومن غنى أو فقر ، ومن عيال أو عدم عيال ، ومن سمن أو هزال .  
 أما سبب نزول هذه الآية الكريمة الجامعة فإن أناساً قالوا :  
 إن فينا الثقيل ، وذا الحاجة ، والصنعة ، والشغل ، والمتشرب به أمره ، فأنزل الله تعالى : ﴿انقروا خفافاً وثقالاً﴾ .

وأبى أن يعذرهم - دون أن ينقروا خفافاً وثقالاً - على ما كان منهم ..  
 ويقول الإمام ( الطبري ) :

( إن الله تعالى ذكر أمر المؤمنين بالتفكير لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقالاً ، وقد يدخل في ( الخفاف ) كل من كان سهلاً عليه النقر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا يسر بحال وفراغ من الاشتغال ، واقتدار على الظهر والركاب ، ويدخل في ( الثقال ) كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليه وسقيمه ، ومن معسر من المال ، ومشتغل بضبيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السن والعيال .

فإذا كان قد يدخل في ( الخفاف ) و ( الثقال ) من وصفنا من أهل الصقات التي ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب ولا على لسان الرسول ﷺ ، ولا نصب على خصوصه دليلاً ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنقر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً ، مع رسوله ﷺ ، على كل حال من أحوال الخفة والثقل ، اهـ .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ ( التوبة : ٩١ )  
 فإنه سبحانه قيد ذلك بقوله : ﴿إذا نصحوهم الله ورسوله﴾ .

ونصحوهم الله ورسوله شرط في رفع الحرج عنهم ، ونصحوهم الله ورسوله كل بحسب حاله ، هذا النصح هو نوع من التفكير فيهم داخلون في التفكير بالمعنى العام .

يبد أن قوله تعالى : ﴿انقروا خفافاً وثقالاً﴾ .  
 ليس خاصاً بالأفراد ، والله سبحانه وتعالى إذا لم يدع عذراً لمعتذر بالنسبة للأفراد فإنه سبحانه وتعالى بهذه الآية نفسها لم يدع عذراً لمعتذر بالنسبة للدول .  
 وما من شك في أن الله سبحانه خاطب بهذه الآية الكريمة المجتمع الإسلامي كله ، =



=نساء ورجالاً ، شباناً وكهولاً ، دولاً وأفراداً ، بيد أن التركيز في الماضي كان يوجه إلى الأفراد ، وذلك لأنهم كانوا أفراداً في دولة واحدة هي الدولة الإسلامية المترامية الأطراف . أما الآن ، وقد فرق الاستعمار ، وفرقت الأهواء ، وفرق حب الرئاسة الأمة الإسلامية فجعلها أمماً : دولاً : ودويلات ، وإمارات ، ولكل منها حدود وفواصل ونظام خاص ، فإن التركيز الآن على الدول .

إن العدو حينما يكون في أرض الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ويصبح فرض عين على كل دولة ..

إنه يصبح فرض عين بالكيان كله للفرد ، والكيان كله للدولة .. والآيات القرآنية الكريمة الخاصة بالجهاد ، والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن الجهاد ، كما تتضمن الدعوة إلى الأفراد فإنها تتضمن الدعوة إلى الجماعات . وإذا خرج الفرد على الجهاد فإنه يكون قد خرج على الإيمان ، وإذا لم تشارك دولة في الجهاد بكيانها كله - حينما يكون العدو في أرض الإسلام - فإنها بذلك تكون قد أفستت إيمانها وعارضت بذلك القرآن والسنة .

إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتأت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴿ ( النوبة : ٤٤ ، ٤٥ . )

وأخرج الله سبحانه بهذه الآية الكريمة كل من تنكر للجهاد فرداً كان أم دولة ، وتنكر الدول للجهاد إنما هو في حقيقة الأمر تنكر من رؤسائها له . وإذا كانوا يئوون بالإثم قبل أن يئو به شخص آخر فإن على شعوبهم أن تنور في وجوههم ثورة تضطربهم إلى الدخول في الجهاد بكل ما تملك الدولة من إمكانات ، فإذا لم يفعلوا فهم شركاء في الإثم والخسران .

ونعود إلى الآية الكريمة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قال فيها : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ .

فإنه سبحانه أتبع ذلك بقوله :

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ .

وكما نقر سلفنا الصالح خفافاً وثقالاً ، فإنهم جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، بل تسابقوا بالجهاد بالنفس والمال في سبيل الله وضربوا بذلك أروع الأمثلة للفداء والتضحية والبذل . . .



وهذه لم تدع عذراً لمعتذر .

ولقد أثارت هذه الآية اهتمام الصحابة والتابعين ، ومن أمثلة ذلك أن « أبا طلحة » رضى الله عنه قرأ سورة براءة ، فلما وصل إلى هذه الآية قال : - كما يروى « ابن كثير » - أرى ربنا استنقروا شيوخاً وشباناً ، جهزوني يا نبي ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبى فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير ، فدفنوه فيها .

وهذا الاتجاه في تفسير الآية روى عن « ابن عباس » وعكرمة ، وأبي صالح ، والحسن البصري ، وسهيل بن عطية ، ومقاتل بن حيان ، والثعلبي ، وزيد بن أسلم .

إنهم قالوا في تفسير هذه الآية ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ : كهولاً وشباناً ، وكذا قال « عكرمة » ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان « وغير واحد » ، وقال « مجاهد » : شباناً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين وكذا قال « أبو صالح » وغيره ، وقال « الحكم بن عتيبة » : مشاغيل وغير مشاغيل .

قال العوفي عن « ابن عباس » في قوله تعالى : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ قالوا : فإن فينا الثقل وذا الحاجة والضيعة والشغل والمتعسر به أمره ، فأنزل الله الآية الكريمة وأبى أن يعذرهم دون أن ينفروا ﴿خفافاً وثقالاً﴾ أى على ما كان منهم .

وقال « الحسن بن أبي الحسن البصرى » أيضاً فى العسر واليسر ،  
وهذا كله من مقتضيات العموم فى الآية ، وهذا اختيار « ابن جرير »  
ونشأ « سعيد » فى كنف أبيه المجاهد ، وأخذ يسير على النسق  
المعتاد إذ ذاك فى التعلم .

وكان أساس التعلم المعتاد حفظ القرآن ودراسته ، والانغماس  
فى أنوار الحديث النبوى انغماساً يشرق بالنور فى القلب ، وبالمعرفة  
فى العقل ، وتقصى سيرة رسول الله ﷺ ، وكلها تقود الإنسان  
- حينما يتجه بها إلى الله ويخلص النية فيها - إلى أسمى درجات  
الهداية ، وأخذ « سعيد » يطوف هنا وهناك فى حلقات الدرس  
فى المسجد النبوى الشريف ، بل ويطوف بصحابة رسول الله ﷺ  
فى بيوتهم .

لقد تعشق المعرفة .

على من كان يدرس ؟ ومن كان يستفيد ؟

يقول الزهرى ، وقد سأله سائل :

عمن أخذ « سعيد بن المسيب » علمه ؟

قال : عن « زيد بن ثابت » وجالس « سعد بن أبي وقاص »

و « ابن عباس » و « ابن عمر » ، ودخل على أزواج النبى ﷺ :  
« عائشة وأم سلمة » .

وكان قد سمع من « عثمان بن عفان » ، وعلى ، وصهيب ، ومحمد

ابن سلمة « اهـ .

ويقول « سليمان بن يسار » :

كنا نجالس « زيد بن ثابت » « أنا ، وسعيد بن المسيب ،  
وقبيصة بن ذؤيب » ونجالس « ابن عباس » اهـ .

وإذا كان قد جالس هؤلاء فإنه قد جالس غيرهم من أصحاب  
رسول الله ﷺ الذين وجدوا في عصره ، ولكنه اتصل اتصالاً وثيقاً  
جداً بأبي هريرة رضي الله عنه .

لقد رأى « أبو هريرة » رضي الله عنه هذا الشاب النشيط -  
« سعيد بن المسيب » - يذهب هنا وهناك مستمعاً مستفسراً متعلماً ،  
ورآه مهذباً ذا دين وتقوى فأحبه ، وانتهت صلتهما بأن تزوج « سعيد »  
ابنة أبي هريرة .

متى تم هذا الزواج ؟ وهل كان « سعيد » هو الذي بدأ الخطبة ؟  
أم أن أبا هريرة هو الذي عرض له بالأمر ، أو عرض عليه الأمر ؟  
ذلك ما لا نعلمه ؛ وإنما الذي نعلمه هو أن « أبا هريرة » لازم  
رسول الله ﷺ ملازمة تشبه أن تكون تامة في السنوات الأخيرة  
من حياة رسول الله ﷺ ، وأنه حفظ عنه ، يقول الزهري عن  
« سعيد » :

وجل روايته المسندة عن « أبي هريرة » وكان زوج ابنته . ويقول  
سليمان بن يسار :

فأما أبو هريرة فكان « سعيد » أعلمنا بمسنداته ، لصهره منه  
يبد أن « سعيد » إذا كان قد اغترف من « أبي هريرة » رضي الله  
عنه ، فإنه كان متخصصاً في أقضية رسول الله ﷺ وأقضية

« أبى بكر » وأفضية « عمر » ، بل كان يسمى أحيانا راوية « عمر » ، وكان « عبد الله بن عمر » يسأله عن بعض أفضية أبيه . عن « سعد بن إبراهيم » عن « سعيد بن المسيب » قال : ( ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، منى ) .

ووصل بسعيد الأمر إلى درجة أنه كان يفتى وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء ، كما ذكر ذلك « قدامة بن موسى الجمحي » فيما رواه « ابن سعد » .

ولقد اتصل بأصحاب « عمر وعثمان » ، ويقول « الزهرى » : ( وكان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما مضى « عمر وعثمان » منه ) ، ونعود إلى صلة سعيد بأبى هريرة وزواج سعيد بابنة « أبى هريرة » رضى الله عنه .

وما من شك فى أن « أبا هريرة » رضى الله عنه فاحسن تربيتها ، ربأها بالقدوة ، وربأها بما كان يقصه عليها من أخبار رسول الله ﷺ ومن أقواله وأفعاله .

وزفت إلى زوجها « سعيد » فى غير ما صخب أو دعاية ، فما كان ذلك من طبع « سعيد » ولا من طبع « أبى هريرة » . ولزمت هذه الزوجة الفاضلة البيت ، مصرفة لأمواره ، فإذا كان هناك وقت فراغ شغلته فى العبادة وشغلته بما ينفع ، لم تخرج من بيتها حتى فى الليلة التى زفت فيها ابنتها ، « فسعيد » - وحده - هو الذى صاحب ابنته إلى زوجها ، وكانت هذه الزوجة سعيدة

حياتها ، كانت تعيش فى كنف رجل مبارك ، عالم ، تقى ، ورع ، زاهد ، يصرف حياته فى نفع الناس وهدايتهم ، وماذا تريد هى أفضل من هذه الصحبة .

ولكن التاريخ يروى خروجها مرة ، ويروى أيضا بعض ما تحدث به ، لقد كانت ابنتها فى حالة وضع لأول مرة وكان لابد من عون ، وجاءت إليها أمها ، وترك الحديث للتاريخ .

يقول « ابن أبى وداعة » زوج بنت « سعيد » : رجعت إلى الدار ، وإذا بها شخص ما رأيته قط ، فرجعت موليا ، فنادتني من ورائي : يا عبد الله : ادخل ، لقد أحل الله لك هذه النظرة .

فقلت : ومن أنت يرحمك الله ؟

قالت : أنا أم الفتاة يا عبد الله ، كيف رأيت أهلك ؟ قلت : جزاكم الله - من أهل بيت - خيرا ، لقد ربيتم فأحسنتم ، وأدبتم فأحكمتم .

فقالت : - يا عبد الله لا يمنعك مكانها منا أى ترى بعض ما تكره فتحسن أدبها ، يا عبد الله لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة رجاءة ، وليست بقهرمانة ، ولا تكثر التبسم فى وجهها ، فتستخف بك ، بارك الله لكما فى المولود ، وجعله مباركا ، خائفا لله تعالى ، ووقاه فتنة الشيطان ، وجعله شبيها بجده « سعيد » فوالله إني لزوجه منذ أربعين سنة ، ما رأيته عصى الله تعالى معصية قط . ثم خرجت ، فلم أر لها وجها ثمانى عشرة سنة ، حتى قضى عليها الموت ..

## (٢) عن حياته :

يقول صاحب الكاشف فى أسلوبه الموجز عن « سعيد بن المسيب » : ( « سعيد بن المسيب بن حزن » الإمام « أبو محمد المخزومى » :

أحد الأعلام ، وسيد التابعين ، روى عن « عمر ، وعثمان ، وسعد » وروى عنه : « الزهرى ، وقتادة ، ويحيى بن سعيد » .  
ثقة ، حجة ، فقيه .

رفيع الذكر ، رأس فى العلم والعمل ( اهـ .

لقد عاش سعيد بن المسيب حياة عادية ، إسلامية صحيحة ، تزوج وأنجب ، واشتغل بالتجارة لكسب رزقه ، وانغمس فى العلم والعبادة .

ومن المعروف أنه أنجب ابناً كانت له شهرة فى الأنساب ، وقد أودى هذا الابن بسبب هذه المعرفة بالأنساب ، وذلك أنه نفى مرة قومًا من نسب معين ، فشكوه إلى الحاكم فعاقبه ، وقد كان الابن معروفًا ، ولكنه لم يكن من رعوس العلماء .

وقد كان لابن المسيب بنت ، ربّاهما فأحسن تربيتها ، وأدبها فأحسن تأديتها : درست العلم .



وقد أثر عن زوجها حديث عنها ، وعن أدبها وتقواها وعلمها ،  
قال :

( لقد كانت المسألة المعضلة تعنى الفقهاء ، فأسأها عنها ، فأجد  
عندها منها علماً ! ) .

ولكن مسألة ابنته هذه لها قصة : !

كان سعيد بن المسيب يتخذ في تقديره للناس المبدأ الإسلامى :  
﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

ولم يكن تقديره للناس مؤسساً على دنيا أو جاه أو سلطان .  
بعد هذا نقول نقلاً عن كتاب : ( مواقف حاسمة للعلماء في  
الإسلام ) :

( خطب عبد الملك بن مروان - بنت سعيد بن المسيب لابنه  
الوليد ، لما بلغه من علمها ، وفضلها ، وجمالها ، مضافاً إلى ذلك  
نسبها في قريش ، فأرسل برغبته هذه إلى هشام بن إسماعيل المخزومي -  
والى المدينة ، وصهر عبد الملك ، وقريب : سعيد بن المسيب ، فطار  
هشام بذلك فرحاً وأخبر وجوه المدينة ، وذهب الوفد ليقابل سعيداً ،  
وهم لا يشكون مطلقاً أنه سيوافق على تزويجها ، ومن يرفض. أن  
يزوج ابنته من ابن أمير المؤمنين ؟ وولى عهد المسلمين ؟ !  
ولكنهم فوجئوا بالرفض ! وحاولوا أن يثنوه عن موقفه ، ولكنه  
أصر على الرفض ) اهـ .

رفض سعيد خطبة عبد الملك ، ماذا فعل بعد ذلك ؟ وإذا كان  
قد رفض أن يكون ولى العهد لابنته فيمن زوجها ؟



لقد قلنا : إنه يتعامل مع الناس على المبدأ القرآني : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ ورأى سعيد من بين تلاميذه تلميذاً متواضعاً ، صالحاً تقياً ، يحاول ما استطاع أن يكون في مرضاة الله تعالى . من هو ؟ إنه « عبد الله بن أبي وداعة » ! وتأخر تلميذه هذا أياماً فسأل عنه - وهذا أمر طبيعي أن يسأل أستاذ عن تلميذ له غائب .

فلما حضر سأل سعيد :

أين كانت غيبتك ؟

فقال : إن أهلي مرضت ، فمرضتها ، ثم ماتت فدفتها .

فقال له سعيد في صدق وإخلاص :

يا عبد الله ، أفلا علمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزّاه عنها ، مواسياً ومجاملاً ، ودعا له بالصبر والثواب ودعا لها بالمغفرة والرحمة ، ثم نبه « سعيد » تلميذه إلى الوضع الإسلامي قائلاً :

يا عبد الله ، تزوج ، ولا تلق الله وأنت أعزب !

فقال عبد الله في تواضع وانكسار :

يرحمك الله ، ومن يزوجني ، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم ! ورأى سعيد تواضعاً وانكساراً مع علمه بتقواه وصلاحه ، فقال له :

سبحان الله ، أو ليس في أربعة دراهم ما يستعفف به الرجل

المسلم ؟

( يا عبد الله ، أنا أزوجك ابنتي إن رضيت ! ) .

وسكت ابن أبي وداعة استحياءً منه ، وإعظاماً لمكانه ولم يجب فقال له سعيد : مالك سكت ، لعلك سخطت ما عرضنا عليك ؟ فقال ابن أبي وداعة : يرحمك الله ، وهل يأبى ذلك إنسان ؟ قال الله إنني لأعلم أنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف ، وأربعة آلاف ، وكان ابن أبي وداعة يتحدث في كل ذلك على العرف الجارى ، وفوجيء بقول سعيد له :

قم يا عبد الله ، فادع لى نفراً من الأنصار .

يقول ابن أبي وداعة : فقمتم ، فدعوت حلقة من بعض حلق الأنصار فأشهدهم على النكاح .

لم يستأمر سعيد ابنته ، وفى ذلك يروى عن مالك فى كتابه : ( الموطأ ) قال : إنه بلغه أن القاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، كانا ينكحان بناتهما الأبكار ، ولا يستأمرانهن ، ثم يقول الإمام مالك :

( وذلك الأمر عندنا فى نكاح الأبكار ! ) .

أى أن البكر لا تستأمر ، وإنما يزوجه أبوها .

أما المهر فكان : أربعة دراهم !

ومشكلة المهر والجهاز والزواج عندنا أصبحت من المشكلات الكبرى ، يتعسف أهل الزوجة فى قيمة المهر ، ويتعسف الزوج

فى تقدير الجهاز ، وكل ذلك نظرات - لموضوع الزواج - مادية .  
ما كانت تليق بوضع الزواج فى الإسلام !

إن الزواج فى الإسلام :

١ - هو سكن . ٢ - وهو مودة .

٣ - وهو رحمة .

يقول الله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها ،  
وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (١) .

ولقد زوج رسول الله ﷺ رجلاً يامراً على ما معه من القرآن  
الكريم ، وقال لآخر فى المهر : « التمس ولو خاتماً من حديد » .  
ونصح الرجال فى كل الأوقات قائلاً :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة  
رضى الله عنه :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدِينها .  
فاظفر بذات الدين تربت يداك »

وإذا ظفر الأب بالزوج الصالح كان ذلك مغنماً كبيراً ، لا يقف  
فى وجهه شيء من العقبات ...

---

(١) الروم : ٢١ .

ونعود إلى ما حدث عن زواج ابن أبي وداعة .  
لقد صلى الجميع العشاء في المسجد النبوي الشريف ، ثم انصرف  
كل إلى منزله .

أما سعيد فإنه قال لبنته - حينما وصل المنزل - :

شدى عليك ثيابك واتبعينى .

فلما شدت عليها ثيابها قال لها :

صلى ركعتين ، فصلت ركعتين ، وصلى هو ركعتين ، وسارا  
في الطريق .

وأما ابن أبي وداعة فإنه كان صائماً ، فلما وصل إلى المنزل  
أخذ في الإفطار ، وكان خبزاً وزيتاً .

وبينما هو يتأهب للنوم ، وقد كان من عادتهم أن يناموا بعد  
العشاء وذلك ليستيقظوا عند ثلث الليل الأخير للعبادة والتهجد ،  
متأسين برسول الله ﷺ ، ومتجاوبين مع الحديث الشريف :

« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى  
ثلث الليل الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني  
فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر لي » .

نقول : بينما هو متأهب للنوم ، إذ به يسمع قرعاً على الباب ،  
فقال : من هذا ؟

فقال له : سعيد .

يقول ابن أبي وداعة : فوالله لقد خطر ببالي كلُّ سعيد بالمدينة

غير سعيد بن المسيب ، وذلك أنه ما رُئي قط خارجاً من داره إلا في جنازة أو إلى المسجد ، فقلت : من سعيد ؟ قال : سعيد بن المسيب !  
- فارتعدت فرائصي وقلت :

لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلني ، فخرجت إليه أجر رجلي ،  
وفتحت الباب ، فإذا أنا بشابة متلفعة بساج ، وداراب ، عليها متاع  
ومعها خادم ، فسلم علي ، ثم قال لي :  
يا عبد الله : هذه زوجتك !

فقلت مستحيًا منه : يرحمك الله ، كنت أحب أن يتأخر ذلك  
أيامًا !

فقال لي : ولمه ؟ أولست أخبرتي أن عندك أربعة دراهم ؟ قلت :  
هو كما ذكرت لك ، ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك !  
قال : وعندي لك أهل ؟ هذه زوجتك ، وهذا متاعكم ، وهذه  
خادم تخدمكم ، معها ألف درهم تفقة لكم ، فخذها يا عبد الله  
بأمانة الله ، فوالله إنك لتأخذ صوامة قوامة ، عارفة بكتاب الله وسنة  
رسول الله ﷺ ، فاتق الله فيها ، ولا يمنعك مكانها مني - إن  
رأيت منها ما تكره - أن تحسن أدبها .

ثم دفعها في الباب ، ورد الباب ، فسقطت الفتاة من الحياء !  
قال أبو وداعة : فاستوثقت من الباب ثم صعدت السطح فناديت  
الجيران ، فجاءوني ، وقالوا : ما شأنك ؟

فقلت : زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته ، وقد جاء بها  
على غفلة ، وها هي في الدار .

فنزلوا إليها ، وبلغ أُمى الخير فجاءت وقالت لى :  
( وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة  
أيام )

فأقمت ثلاثاً ، ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجمل الناس ،  
وأحفظهم لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ،  
وأعرفهم بحق الزوج .

قال : فأقمت معها ما شاء الله ، ثم رزقنى الله منها حملاً .  
وكان « سعيد بن المسيب » كثيراً ما يسألنى عنها ، فيقول :  
ما فعلت تلك الإنسانية ؟  
فأقول : بخير .

فيقول : يا عبد الله إن خفّ عليك أن تزورنا فافعل !  
أما بعد :

أيها الآباء والأمهات : اجعلوا همكم كل همكم فى زواج أبنائكم  
وبناتكم أن تظفروا بذوى الدين شباباً وفتيات .  
أيها الشباب : اتبعوا نصيحة رسول الله ﷺ :  
« فاظفروا بذات الدين تربت يداك » .

فتياتنا الفضليات : لا تغركن المظاهر ، من غنى أو جاه وإنما :  
﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .



### (٣) عن حياته :

كان لسعيد بن المسيب عادات حسنة معروفة ، يقول صاحب البداية والنهاية : كان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا ، وذلك لما في باب طيب الطعام من أخبار وآثار كثيرة ، فمنها مثلاً : روى مسلم عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [البقرة ١٦٨]

فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنين ٥١]



وقال :

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة ١٧٣]  
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء :  
يارب . يارب .. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ،  
وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ ..

تحرى الحلال :

من أجل ذلك كان سعيد بن المسيب يتحرى الحلال تحرياً دقيقاً ،  
إن ( أظب مطعمك ) كانت تلازمه فى كل ما يأكل ، وفى كل  
ما يشرب ، وفى وصف ذلك يقول صاحب ( الحلية ) عن عمران بن  
عبد الله قال : ( كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً :  
لا ديناراً ، ولا درهماً ، ولا شيئاً ) .  
قال : وربما عرضت عليه الأشربة فيعرض ، فليس يشرب من  
شراب أحد منهم .

أما موضوع الأشربة هذا ، فإنه مثلاً كان يكون صائماً وتأتى  
صلاة المغرب ، وهو بالمسجد النبوى ، وربما تأخر الشراب الذى  
يأتى من بيته ، فيعرض عليه بعض الناس الشراب فيأبى تحرياً للحلال .  
ومن كلمات سعيد - كما روى صاحب الحلية :  
( إن الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها  
بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها ) .

لا مال من الدولة :

ومن جانب آخر كان لا يأخذ من الدولة مالاً ، ورفض أخذ

العطاء وهو مال كانت تنفقه الدولة شهرياً أو سنوياً من بيت المال ، وكان كل من يفرض له العطاء يأخذه ، وكان أبو ذر الغفاري المؤمن التقى الورع يأخذ عطاءه ، ولكن سعيداً رفض أن يأخذ العطاء من الدولة .

وكان عطاؤه يخزن ويزداد سنة فسنة ، يروى أبو نعيم بسنده عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : دعى سعيد بن المسيب إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها ، فقال : ( لا حاجة لي فيها ) .

وإذا كان لا يقبل العطاء من الأمويين فإنه كان لا يقبل شيئاً من أقاربه أيضاً ، وفي ذلك يروى مالك بن أنس أن ابن عم لسعيد أناه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يأخذها .

### حب الجمال :

ومن جانب ثالث كان سعيد يسير متبعاً للأثر : ( إن الله جميل يحب الجمال ) .

والواقع أن الكثيرين من الصالحين كانوا يحبون الملابس الطيب : وقد كان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يحب الملابس الحسنة الجميلة ، وكان العارف بالله الشيخ إبراهيم أبو العيون أنيقاً في ملبسه يسترعى الأنظار بأناقته وحسن سمنه .

وإذا كان سبحانه أمر باتخاذ الزينة عند كل مسجد ، فإنه سبحانه يحب الجمال في كل وقت .

وكان سعيد بن المسيب من هؤلاء الذين يتخذون زينتهم في

كل أوقاتهم ، لأن أوقاتهم كلها عبادة ، فهو كأنه في كل لحظاته في المسجد .

يروى ابن سعد عن عمران بن عبد الله ، قال : ما أحصى ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قصص الهروى [كساء ثمين نفيس يصنع في بلدة هراة] ، قال :

( وكان يلبس هذه البرود الغالية البيض ) .

وكانت الملابس البيضاء أحب الثياب إلى سعيد ، وفي ذلك يقول محمد بن هلال : ( لم أر سعيد بن المسيب لبس غير البياض ، وكان يلبس الخز ، يقول أبو معشر فيما رواه ابن سعد : رأيت على سعيد بن المسيب الخز .

وروى عن محمد بن هلال أنه قال : رأيت سعيد بن المسيب يعتم وعليه قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء ، لها علم أحمر ، يرخيها وراءه شبراً .

من أين مال سعيد :

والآن نتساءل : هذا الرزق الحلال ، وهذه الحياة الطيبة ما مصدرها ؟

إن والده ، فيما يبدو ، لم يترك له ثروة ، ولم يكن سعيد عاملاً في الدولة ، فمن أين كان يتفق ؟

لقد اشتغل سعيد بالتجارة ، وكان كأسلافه ومعاصريه من قريش ، يكتسب حياته من التجارة ، وكان يشتغل بتجارة : الزيت .

يقول أحمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلاً صالحاً فقيهاً ،  
كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعمئة دينار ، وكان يتجر  
فى الزيت .

والتجارة الحلال ليست من الدنيا النذلة التى وصفها سعيد فيما  
مضى ، وكل ما كان حلالاً ليس من الدنيا الخسيسة .

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق  
قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [الأعراف  
وانطلاقاً من ذلك يقول الإمام الشعرانى فى طبقاته عن سعيد :  
وكان رضى الله عنه يقول : ( لا خير فىمن لا يجمع الدنيا ،  
يصون بها دينه وحسبه ويصل بها رحمه ) .

ويقول سعيد أيضاً فيما رواه يحيى بن سعيد :  
( لا خير فىمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطى منه حقه ،  
ويكف به وجهه عن الناس ) .

ويكثر سعيد فى ذكر هذه المعانى تنبيهاً لكل من تحدثه نفسه  
أن يكون كلاً على الناس ، أو أن يتخذ البطالة مذهباً ، فيقول سعيد  
فى وجه هؤلاء : ( لا خير فىمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ،  
ويؤدى به أمانته ، ويستغنى به عن خلق ربه ) .

كان عند سعيد رأس المال ، وكان يمسكه : يتاجر فيه ، أو  
يضارب ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة ، ومع ذلك فإنه كان  
يتجه إلى الله تعالى قائلاً : ( اللهم إنيك تعلم أنى لم أمسكه بخلاً  
ولا حرصاً عليه ، ولا حجةً للدنيا ونيل شهواتها .

وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم ، وأصل منه رحمتي ، وأودى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين ، واليتيم والجار ) .  
ولما مات سعيد ترك مالاً اختلفت الروايات في قيمته ، فبعضهم يصل به إلى ثلاثة آلاف دينار ، وبعضهم يصل به إلى مائة ، والمعقول أنه بين هذا وذاك ، ولقد ترك هذا المال وهو يقول :  
( اللهم إنك تعلم أنني لم أتركه إلا لأصون ديني وحسبي ) .

### الدنانير والعلماء :

والواقع أن هذا النمط من العلماء كان يسير في حياته حرّاً كريماً .  
ولقد رأى مرة أحد الأشخاص الإمام سفيان الثوري ومعه مائتان من الدنانير يتاجر فيها ، فقال له :

كل هذا المال وأنت زاهد ؟

فأجاب سفيان الثوري قائلاً كلمة مشهورة ، وتعبيراً مأثورًا طريفاً :  
( لولا هذه الدنانير لتمنل بنا الأمراء ) .

أي لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء فجعلونا في أيديهم أشبه بالمناديل يتمسحون فيها ويلقونها من يد إلى يد .. و ..  
وكان الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك مثلاً كريماً للتاجر العالم الكبير الذي لا تلهيه تجارته ولا بيعه عن ذكر الله .

ولم تكن تجارة هؤلاء جميعاً للدنيا ، ولم تكن التجارة مهنتهم ولكن كان لابد لهم من مورد رزق لا يكون لأحد عليهم فيه منة

إلا الله تعالى ، وكانوا يتاجرون من أجل الحد المعقول لحياة كريمة ، ولم يكونوا يتاجرون للغنى لأن همهم الأكبر إنما كان الجهاد في سبيل الله .

### عمل اليد :

كان سعيد في تجارته متأسياً بأسلافه ، وكان قدوة لتلاميذه ومريديه ، وكان متبعا للآثار التي وردت عن رسول الله ﷺ ، ومنها ما روى عن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : ( ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده ) [أخرجه البخارى وغيره] .

وفى رواية لابن ماجه : ( ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة ) . وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( لأن يأخذ أحدكم أحبله ، فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه ) [رواه البخارى فى صحيحه] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال :

أما فى بيتك شىء ؟

قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ونيسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء .



قال : اتئنى بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ، فقال : ( من يشتري هذين ؟ ) قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ :

( من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ) .

فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال : ( اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فائتني به ) . فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ، ثم قال : ( اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يومًا ) ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا ، وببعضها طعامًا فقال له النبي ﷺ :

( هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ) [رواه أبو داود] .

وعن سعيد بن عمير عن عمه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟

قال : ( عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور ) [رواه الحاكم وصحح إسناده] . وبعد ، فإن الدعوة الإسلامية دعوة إلى الإيمان والعلم والعمل والخلق الكريم ، وقد كان سعيد بن المسيب يجمع بين ذلك كله .



## الفصل الثاني طابعه

نتحدث في هذا الفصل عن سلوك « سعيد بن المسيب » في الحياة ، ونحدث عن خلقه ، وعاداته ، وتقدير الناس له ، أى أننا نحاول في هذا الفصل أن نكمل الصورة التى مازلنا نجمعها لبنة لبنة ، وسيبقى مع كل ما نكتبه عنه جوانب يتسع لها الحديث : وذلك أن آراه « سعيد » متشرة هنا وهناك فى كتب التراث الإسلامية ، على كثرتها .

ولكن هذه الآراء - وإن زادتنا معرفة بفضيه - فإنها سوف لا تزيدنا معرفة بشخصيته .

وإن رجاءنا كبير فى أن يكون مذهب « سعيد » الفقهى محل دراسات متعددة حتى يمكن فى النهاية أن يقف هذا المذهب بجوار مذاهب الفقه الحالية ، وقد أسهم فى ذلك إسهاماً مشكوراً « الدكتور هاشم جميل » ، وأملنا كبير فى أن يتابع العمل ، وأن يشاركه فى ذلك آخرون يتبعون أئمة الفقه من التابعين ، وعلى رأسهم فقهاء المدينة السبعة ، الذين سنذكرهم فيما بعد إن شاء الله .

ونعود إلى « سعيد » :

ونبدأ بتقدير العلماء له ، وتقديرهم له ليس تقديرًا للجانب العلمى

فحسب ، وإنما هو تقدير لجوانب عدة ، منها : العلم : العلم : السنة ، والعلم بالفقه ، والعلم بتفسير القرآن ؛ على الرغم من تخرجه فيما يتعلق بالتفسير .

لم يكن - إذن - تقديرهم له اعتباطا ، وإنما له أسس راسخة الجذور ، بأسقة الأغصان من شخصيته : عالما ، وعابدا ، ومستقيما . يقول « علي بن حسين » : « سعيد بن المسيب » أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم في رأيه .

ويقول « ابن رحيان » : « هو سيد التابعين » .

ويقول صاحب الشذرات : أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين .

ويقول صاحب الشذرات أيضا : وقال « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم » : لما مات العبادلة : « عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص » صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالى : فقيه مكة « عطاء » ، وفقيه اليمن « طاووس » ، وفقيه اليمامة « يحيى ابن أبي كثير » ، وفقيه البصرة « الحسن البصري » ، وفقيه الكوفة « إبراهيم النخعي » ، وفقيه الشام « مكحول » ، وفقيه خراسان « عطاء الخراساني » إلا المدينة ، فإن الله تعالى حرسها بقرشي .

فقيه غير مدافع « سعيد بن المسيب » وهو من فقهاء المدينة ، جمع بين الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والورع ، والعبادة ( اهـ ) .

وعن « عبد الرازق بن همام » عن معمر قال :

سمعت « الزهري » يقول : أدركت من قریش أربعة بحور :

« سعيد بن المسيب » ، و « عروة بن الزبير » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » .

وقال « الذهبي » : « سعيد بن المسيب » ثقة ، حجة ، فقيه ، رفيع الذكر ، رأس في العلم والعمل .

وروى عثمان الحارثي عن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين « سعيد بن المسيب » .

وعن مكحول قال : لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس ، ما كان أحد يأنف أن يأتي إلى حلقة سعيد بن المسيب ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا وهو يقول : لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم . وقد تتساءل : لم هذا التقدير ؟ وقد سبق أن فسرناه ، ونريد هنا الأمر إيضاحًا : كانت مخالطة سعيد للناس عن طريق درسه ، وفي المسجد ، ومن قوله فيما رواه ابن سعد .

( ما أظنتي بيت بالمدينة بعد منزلي إلا أني آتي ابنه لي فأسلم عليها أحيانًا ) .

وفي درسه لم يكن يسير على النمط التقليدي ، وإنما كان يتتهد كل فرصة لتوجيه الناس إلى الله تعالى .

يقول عاصم بن عباس الأسدي - فيما رواه ابن سعد - كان سعيد بن المسيب يذكر ويخوف .

( وكان لا يخاصم أحدًا ، ولو أراد إنسان رداءه - كما يقول عبد الله الخزاعي - لرمى به إليه ؛ وكان من أزهد الناس في فضول الدينار كما يقول ابن كثير - وفي الكلام فيما لا يعني ) .

وكان يُفشى السلام ، ويصافح كل من لقيه .

وعن إفشاء السلام يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود :  
« والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا  
حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام  
بينكم » .

وكان لا يكلف أحداً شيئاً حتى فى أتفه الأمور ، يروى صاحب  
الحلية عن ابن حرملة قال : خرج سعيد بن المسيب فى ليلة مطر ،  
وطين ، وظلمة ، منصرفاً من العشاء فأدركه عبد الرحمن بن عمرو  
ابن سهيل ومعه غلام معه سراج ، فسلم عليه عبد الرحمن ومشيا  
يتحدثان حتى إذا حاذى عبد الرحمن بداره انصرف إليها ، فقال  
للغلام : امش مع أبى محمد بالسراج ، فقال سعيد : لا حاجة لى  
بنورك ، نور الله خير من نوركم !!

ومع كل ما كان يتسم به من صلابة فى رأى ، ومن تشدد  
فى الدين ، فإنه ما كان مترمماً ، وانظر إلى هذه القصة التى سار  
فيها سعيد على أساس من قول رسول الله ﷺ :

« ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

وانظر إلى خاتمها الطيبة :

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح ، فوجدت سكران ،  
فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلى ، قال : فلقيت سعيد بن المسيب  
فقلت : لو أن رجلاً وجد سكران أيدفعه إلى السلطان فيقيم عليه  
الحد ؟ قال : قال لى : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل .

قال : فرجعت إلى البيت ، فإذا الرجل قد أفاق ، فلما رآني  
عرفت فيه الحياء ، فقلت : أما تستحي ؟ لو أخذت البارحة لحديث  
فكنت في الناس مثل الميت ، لا تجوز لك شهادة ، فقال : والله  
لا أعود له أبداً . قال ابن حرملة : فرأيتك قد حسنت حالته بعد .  
أما موقفه من الشعر فعن :

عاصم قال : كان سعيد بن المسيب يحب أن يسمع الشعر ،  
ولا ينشده .

وفي هذا المجال - مجال عدم التزمّت - نروى طرفة ذكرتها  
كتب الأدب ، ( والعهدة فيها على الراوى ) .

ذكر عبد الله بن عمر العمرى قال : خرجت حاجاً ، فرأيت  
امراً جميلة تتكلم بكلام أرقت فيه ، فأدريت ناقتى منها ، ثم قلت  
لها : أأنت حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ .

فسفرت عن وجه يهر الشمس حسناً ، ثم قالت :

تأمل يا عم ، فإنى ممن عناه العرجى بقوله :

( أُمَاطت كساء الخُر عن حروجهما

وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

من اللاء لم يحججن يبعين حسبة

ولكن ليقتلن البريء المغفلاً )

قال : قلت لها : فإنى أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار .  
وبلغ ذلك سعيد بن المسيب رحمه الله ، فقال : أما والله لو كان

من بعض بغضاء العراق لقال لها : اغربي قبحك الله ، ولكنه ظرف  
عباد أهل الحجاز .

ويروى صاحب الأغاني عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن  
أبيه قال :

دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحق ، فإنه لمعتمد  
على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه ،  
فسلمنا عليه فرد علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد من أشعر ؟  
صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد عبد الله بن قيس أو عمر بن أبي ربيعة ،  
فقال نوفل : حين يقولان : ماذا يا أبا محمد ؟ .. قال : حين يقول  
صاحبنا :

خليلي ما بال المطايا كأنما  
نراها على الأدبار بالقوم تنكص  
وقد قطعت أعناقهن صباية  
فأنفسنا مما يلاقين شخص  
وقد أتعب الحادي سراهن وانتحي  
بهن فما يألو عجول مقلص  
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا  
إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبك ما شئت .. فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في  
الغزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر ، فقال سعيد : صدقت ، فلما انقضى  
ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد يده حتى  
وفي مائة ، فقل البكري في حديثه عن الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا



قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ .. فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه<sup>(١)</sup> .

ومن طابع سعيد بن المسيب :

« التعبد » وله في العبادة ومفهومها بصيرة مستنيرة ، وكمقدمة للحديث عن العبادة نتحدث عن بعض أخذه بالسنن : يستنير فيها على منهج الاتباع .

يقول محمد بن هلال : ( رأيت سعيد بن المسيب لا يحفى شاربته جداً ، يأخذ منه أخذًا حسنًا ) .

وعن عاصم قال :

( رأيت سعيد بن المسيب لا يدع ظفره يطول ) .

( ورأيت يصافح كل من لقيه ) .

( ورأيت سعيدًا يكره كثرة الضحك ) .

( ورأيت سعيدًا يتوضأ كلما بال ، وإذا توضأ شبك بين أصابعه ) .

أما العبادة فإن بكر بن خنيش سأله قائلاً :

( فما التعبد يا أبا محمد ؟ . قال : التفكير في أمر الله ، والورع

عن محارم الله ، وأداء فرائض الله تعالى )<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ج ١ ص ١١٨ ط الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠ .

(٢) الحلية .

ذكر ذلك صاحب الحلية ، وذكر أيضًا : أنه سئل مرة أخرى  
عن العبادة ، فقال :

( العبادة : التفقه في الدين ، والتفكير في أمر الله تعالى ) .

وعن معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة قال : قال  
سعيد بن المسيب ذات يوم :

( ما نظرت في أقفاء قوم سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة ) .

ويعنى بقوله : ( ما نظرت في أقفاء قوم ) : أنه كان دائماً في  
الصف الأول في المسجد .

أما يوم الجمعة فيذكر ابن سعد :

عن عطاء ، أن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم  
الجمعة لم يتكلم كلاماً حتى يفرغ من صلاته ، وينصرف الإمام ،  
ثم يصلي ركعات ، ثم يقبل على جلسائه ويسأل .

ويذكر صاحب الحلية الطرفة التالية :

عن ابن حرملة قال :

حفظت صلاة ابن المسيب ، وعمله بالنهار ، فسألت ( بُرد )  
خادمه عن عمله بالليل ، فأخبرني فقال :

كان لا يدع أن يقرأ ( بصاد والقرآن ذى الذكر ) كل ليلة فإذا  
ما وصل إلى آية السجدة سجد ، وقال : فسألته عن ذلك فأخبر  
أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة فقرأ بصاد ، فلما مر بالسجدة ،  
سجد وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول :

( اللهم اعطني بهذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ،  
وارزقني بها شكراً ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود )  
ويقول صاحب الحلية :

قال سعيد بن المسيب :

( من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة ، فقد ملأ البر  
والبحر عبادة ) .

ولكن الصلاة بالنسبة لسعيد كانت قرّة عين له :

روى عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب هذه الكلمات  
الجميلة قال :

( ما دخل عليّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ، ولا دخل  
عليّ أداء فرض إلا وأنا إليه مشتاق ) .

ومما يبين مدى حرص سعيد على الصلاة ما رواه كثير من مؤرخيه  
بعبارات مختلفة كثيرة مستفيضة ، ومن ذلك بعض ما رواه صاحب  
الحلية ، ونموذج لما كتبه الكثيرون عن سعيد وموقفه من الصلاة .  
قال ( ابن سهل - عثمان بن حكيم ) سمعت سعيد بن المسيب  
يقول :

( ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد !! ) -

وعن ميمون بن مهران أن سعيد بن المسيب مكث أربعين سنة  
لم يلق القوم قد خرجوا من المسجد وفرغوا من الصلاة .

وعن عبد الرحمن بن حرملة عن ( برد ) مولى ابن المسيب قال :

( ما تودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد ) .

ويذكر صاحب الحلية ما يلى :

حدث خالد بن داود ( يعنى ابن أبى هند ) - عن سعيد ابن المسيب قال :

( ما يقطع الصلاة ؟ قال : الفجور ، ويسترها التقوى ) .

ونختم الحديث عن صلاة سعيد بهذه الكرامة الكريمة التى أوردها صاحب الحلية :

عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال :

دخلت المسجد فى ليلة ، أضحيان ، قال : وأظن أنى قد أصبحت فإذا الليل على حاله ، فقامت أصلى ، فجلست أدعو فإذا هاتف يهتف من خلفى : يا عبد الله قل :

قلت : ما أقول ؟

قال : قل : ( اللهم إنى أسألك بأنك مالك الملك ، وأنت على كل شىء قدير ، وما تشأ من أمر يكن ) ، قال سعيد :

( فما دعوت بها قط لشىء إلا رأيت نجاحه ) .

كان سعيد بن المسيب يقوم بالصلاة على هذا النسق إذا كان مقيماً بالمدينة ، ولكنه فى أسفاره كان أيضاً حريصاً كل الحرص على صلاة الجماعة .

أما الصوم فيذكر ابن سعد :

( كان سعيد بن المسيب يسره الصوم ، فكان إذا غابت الشمس أتى بشراب له من منزله إلى المسجد فشربه ) .  
وكذلك حدث يزيد بن أبي حازم أن « سعيد بن المسيب كان يسره الصوم » .

ويكفيها فيما يتعلق بالحج ما حدث به سليمان بن أبي بلال عن ابن حرملة قال :

سمعت سعيد بن المسيب يقول : ( لقد حججت أربعين حجة ) .  
هذا ولا يتأتى أن نتحدث عن طابع سعيد دون أن نتحدث عن موقفه من النساء ، وعن رأيه في فتنة النساء .

ولا يتأتى أن نتحدث عن رأيه في ذلك ، دون أن نبين موقف الإسلام - في إيجاز موجز - من هذا الموضوع الذي عمت بلواه وكثر فسادة ، وأصبح فتنته تكاد تبسط سوءها في كثير من الأجواء في مجتمعنا الحاضر .

#### سعيد بن المسيب والنساء :

إن للإسلام موقفاً واضحاً لما ينبغي أن تكون عليه المرأة من حشمة ، ومن كمال ، ومن أدب ، ومن عفة .

وللإسلام موقفه الواضح فيما يتعلق بالصلة بين الرجل والمرأة .  
وما من شك في أن الكثير من النساء قد استجبن لله ولرسوله والتزمn أوامر الله ورسوله التزاماً وضعهن في الدرجة الأولى من زمرة المؤمنين .

ولقد تحدّث الله سبحانه وتعالى عن بعض النساء في القرآن الكريم ،  
مثلاً أو مستنكراً ، يقول سبحانه :

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا  
تحت عبيدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله  
شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب  
ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني  
من القوم الظالمين﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا  
وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين﴾<sup>(٣)</sup> .

ولمريم رضي الله عنها يقول تعالى :

﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ،  
يا مريم اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾<sup>(٤)</sup> .

ويقول في موضوع الحشمة :

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن  
إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء  
بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو

---

(١) التحريم : ١٠ .

(٢) التحريم : ١١ .

(٣) التحريم : ١٢ .

(٤) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ .



نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإرية من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿١﴾ .

وإذا كان يقول لنساء الرسول ﷺ :

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا﴾ ﴿٢﴾ .

ويقول تعالى :

﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ ﴿٣﴾ .

إذا كان ذلك لنساء الرسول ﷺ ، فغيرهن من باب أولى .

وأما الصلة الجنسية المحرمة ، فيقول سبحانه فيها :

﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ .

﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ﴿٤﴾ ، وقد أوضحت السنة

---

(١) النور : ٣١ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

(٣) الأحزاب : ٥٣ .

(٤) النور : ٢ ، ٣ .

القرآن الكريم ، وأبانت الكثير مما أجمله ، ونذكر من ذلك بعض مظاهر الجو الإسلامي بالنسبة للمرأة .

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سيّاط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات ممائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا ... » [رواه مسلم] .

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها »

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه] .

٣ - عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم منها » . [رواه البخاري ومسلم وأبو داود] .

٤ - عن أبي سعيد ، أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيسا قال :

« إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

[أخرجه ابن ماجه فى باب فتنة النساء] .

٥ - عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أدع بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » [ رواه ابن ماجه والترمذى مع اختلاف يسير فى الألفاظ ، وقال عنه : حسن صحيح ] .

٦ - روى أن أبا هريرة لقي امرأة متطية تريد المسجد ، فقال يا أمة الجبار أين تريدان ؟ قالت : المسجد ، قال : وله تطيت ؟ قالت : نعم ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( أيما امرأة تطيت ثم خرجت إلى المسجد ، لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل ) [ رواه ابن ماجه ] .

٧ - عن عبد الرحمن بن شبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

« إن الفساق هم أهل النار ، قالوا يا رسول الله ، وما الفساق ؟ قال : النساء . قال رجل : يا رسول الله ، أليس أمهاتنا ، وأخواتنا ، وأزواجنا ؟ قال : بلى ، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن ، وإذا ابتلن لم يصبرن » [ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ] .

٨ - عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، رضى الله عنه ، قال : بينا نحن مع رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فى صلاة الظهر والناس فى الصفوف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرأينا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،

يتناول شيئاً فجعل يتناوله فتأخر ، وتأخر الناس ، ثم تأخر الثانية ، فتأخر الناس ، فقلت يا رسول الله ، رأيناك صنعت اليوم شيئاً ما كنت تصنعه فى الصلاة ؟ فقال : « إنه عرضت على الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت قطعاً من عنبها ، ولو أخذته لأكل منه مَنْ بَيْنَ السماء والأرض لا ينقصونه ، فحيل بينى وبينه ، وعرضت على النار ، فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها ، وأكثر من رأيت فيها النساء ، إن ائتمن أفشين ، وإن سألن ألحقن ، وإذا سئِلن بخلن ، وإذا أعطين لم يشكرن » .

[حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم] .

٩ - عن عبد الله أن النبى ، ﷺ ، قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، مبتغيات للحسن ، مغيرات خلق الله . [الترمذى حسن صحيح] .

« المتنمصة : التى تزيل شعر وجهها أو جبينها بخيط أو

نحوه » .

١٠ - عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ، ﷺ ، قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة »

[الترمذى حسن صحيح] .

الواشمة : التى تجعل الوشم على ذراعها ، أو على جزء آخر من جسمها .

المستوشمة : هى التى تطلب من يفعل لها ذلك .

الواصلة : من النساء : التى تصل شعرها بشعر غيرها .

قال أبو عبيد : هذا في الشعر ، وذلك أن تصل المرأة شعرها  
بشعر آخر زورا ، وروى في حديث آخر :

« أيما امرأة وصلت شعرها بشعر آخر كان زورا » [لسان العرب] .

١١ - عن ابن عباس قال : لعن رسول الله ، ﷺ ، المتشبهات  
بالرجال من النساء ، والمتشبهين بالنساء من الرجال . [حسن صحيح] .

١٢ - وفي رواية عنه : لعن رسول الله ، ﷺ ، المخشين من  
الرجال والمترجلات من النساء . [حسن صحيح] .

١٣ - عن أبي موسى عن النبي ، ﷺ ، قال :

« كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي  
كذا وكذا » ، يعني زانية . [حسن صحيح] .

١٤ - روى مسلم بسنده ، عن ابن عباس قال : سمعت النبي ،  
ﷺ ، يخطب يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ،  
ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ،  
إن امرأتى خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ،  
قال : انطلق فحج مع امرأتك .. » .

وقد يظن بعض الناس أن الإسلام بالغ في الحفاظ على المرأة ،  
ونقول : إن كل مبالغة في الحفاظ على المرأة هي تكريم لها ،  
بيد أنه إذا أحب الإنسان أن يأخذ صورة لما عساه أن تبلغ فتنة  
النساء فليقرأ شعر « عمر بن أبي ربيعة » - وهو شعر واقعي -  
ولينظر مدى استجابة النساء له ، وإنه ليصل الأمر بهن أن يتعرضن  
له ، وأكثر من ذلك كن يستقدمنه إليهن .

أو لينظر قول بشار في فحشه وبذاءته :

لا يؤيسنك من مخدرة      قول تغلظه وإن جرحا  
عسر النساء إلى مياسرة      والصعب يمكن بعدما جمحا

أو قول الآخر : في وقاحته وتسفله :

إن النساء وإن وصفن بعفة      فيما يظهر في الأمور ويكتم  
لحم أطاف به سباع جوع      ما لا يذاد فإنه يتقسم  
اليوم عندك دلهًا وحديثها      وغدا لغيرك كفها والمعصم  
كالخان تسكنه وترحل غاديًا      ويحل بعدك فيه من لا تعلم

ولقد كان كل ذلك أيام أن لم تكن مشيرات « السينما » والتلفزيون  
والأدب المكشوف ، وقد كان ذلك أيام أن لم يكن الاختلاط في  
الجامعات وفي المكاتب .

وكان ذلك أيام أن كان نظام « السكرتيرات » لا وجود له .  
وكان ذلك أيام أن لم تكن « الموضة » الخاضعة دائمًا لمجلات  
الأزياء التي يديرها اليهود ، ويحاولون عن طريقها نشر الفساد بأخبث  
الوسائل .

ولقد وصل الأمر الآن بالنساء أن يذهبن إلى الشواطئ ويتعريين ،  
ويكشفن عما وجب أن يستر ، والغريب في الأمر أن أزواجهن أو  
آباءهن أو إخوانهن يرون ذلك ويرضون عنه .

لا دين ، ولا فضيلة ، ولا شهامة ، ولا مروءة : لحم عار ،  
ينظر إليه الغادى والرائح دون خجل أو حياء .



وتسقط الفتاة تلو الأخرى فى الرذيلة ، بل يسقطن زرافات  
ووحدا .

يسقطن على الشاطئ ، وفى الجامعة ، وفى مقر الوظيفة ، فضلاً  
عن سقوطهن فى الشارع وفى السهرات التى تتعري الظهور فيها ،  
وأعلى الصدور .

والحديث عن ذلك يطول :

وكل أب ، وأخ ، وابن مسئول عن محيطه ورعيته .

ونحب الآن أن نذكر كلمات عن رأى « سعيد بن المسيب »  
الذى كان كل ما سبق تمهيداً وتبريراً لرأيه ، إنه يقول :

« قد بلغت ثمانين سنة ، وما شئ عندى أخوف من النساء !  
وكان بصره قد ذهب ، ويقول فيما حدث « على بن يزيد » :

« ما أيس الشيطان من شئ إلا أتاها من قبل النساء » ..

وقال على بن يزيد ، : أخبرنا « سعيد » - وهو ابن أربع وثمانين  
سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وهو يعيش بالأخرى :

« ما شئ أخوف عندى من النساء » ..

وقال « سعيد بن المسيب » :

« ما خفت على نفسى شيئاً مخافة النساء ، فقالوا له : يا أبا محمد ،  
إن مثلك لا يريد النساء ، ولا تريده النساء !

قال : هو ما أقول لكم .

قال الراوى : وكان شيخاً كبيراً أعْمَش ..

والسؤال الآن هو :

أكان « سعيد بن المسيب » مخطئاً ؟

ألا تُستعمل النساء الآن فيما يبأس منه الشيطان ؟

ألا تستعمل في التجسس ، وفي قيادة الرجال إلى ما يردن ،

وفي مآرب لليهود والأعداء المفسدين ؟

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ، ونستغفرك ، ونرجو أن تهدي

الأمّة الإسلامية إلى الطريق المستقيم ، وأن تسير بها في سبيلك الطاهر ،

إنك سميع قريب مجيب .

## الفصل الثالث امتحان ومحنة

(١) امتحان ومحنة :

إن « سعيد بن المسيب » من كبار أئمة العلماء في الحديث ،  
وفى الفقه ، وقد ولد - كما يقول - : لستين مضتاً من خلافة  
« عمر بن الخطاب » ، رضى الله عنه ، وقد نيفت حياته على الثمانين  
سنة .

ويتحدث عنه صاحب الحلية فيقول :

« أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي » ، كان من  
المتحنيين : امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم !  
ونحب في ابتداء الحديث عن امتحان « سعيد بن المسيب » أن  
نبداً ببيان صفة من أهم صفاته ، وهى : صفة الاستمسك بالحق !  
وهو فى هذا الاستمسك ، بالحق لا يقل عن الإمام « أحمد بن  
حنبل » ، ولا عن الإمام « سفيان الثوري » .

وإذا كان لهذين الإمامين الجليلين - اللذين أتيا بعده ، ولغيرهما  
من الذين آثروا رضوان الله على متاع الدنيا - من قدوة ، فإن قدوتهم  
الأولى رسول الله ، ﷺ ، الذى عرضت عليه الدنيا ممثلة فى الملك  
والمال والرياسة و .. الخ ، فقال مقالته التى سارت مسير الضوء :

« والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ! »  
وقدوتهم من بعده ، عليه السلام ، « الصديق » !

« الصديق » الذي قال حين ارتد بعض الأعراب - بامتناعهم عن أداء الزكاة - ما معناه :

« والله لو لم يخرج أحد لحربهم لخرجت إليهم وحدي !  
ولقد سار كثير من أسلافنا وعلمائنا على هذا النهج المؤمن ،  
الذي لا يبالي في سبيل الله بما يصيبه ، « ذلك بأنهم » .  
﴿ لا يصيبهم ظمأ ، ولا نصب ، ولا مخمصة في سبيل الله ،  
ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ <sup>(١)</sup> .

وكان يكفي الإمام « أحمد » أن يقول : « القرآن مخلوق » ،  
أو يقول كلمة تعبر عن تورية ، مجرد كلمة مشبهة ، فيرفع عنه  
العذاب والتكيل ، ولكنه أبى إبقاء المؤمنين المعتزين بالله ، وأدخل  
السجن وضرب بالسياط فلم ينل ذلك من عزمته ولا قلامه ظفر !  
ونحن نعتر بالإمام « أحمد » كصورة كريمة للعزيمة التي لا تلين  
في سبيل ما تراه حقاً .

ولقد نادى « أبو جعفر المنصور » يوماً :

« إذا رأيتم « سفیان الثوري » فاصلبوه ! »

---

(١) التوبة : ١٢٠ .

وكان هذا أمراً لكل الولاة والحكام بالقبض عليه وصلبه ، وكان يكفي « سفيان » أن يقول كلمات هينة في مدح « أبي جعفر » فيعفو عنه ، ويجزل له العطاء من عرض الدنيا ، ولكنه لم يقل شيئاً ونجاه الله تعالى ، ومات « أبو جعفر المنصور » ولم يصب « سفيان الثوري » بسوء ، وعاش بعد أبي جعفر ستين !

وأما « سعيد بن المسيب » فيقول المؤرخون عنه :

« إن نفسه كانت أهون عليه في سبيل الله من نفس ذبابة » ، لقد باع نفسه في سبيل الله ، فما كان يعنيه قط : أوقع على الموت أم وقع عليه الموت ، وما كان يبالي - في سبيل الله - على أى جنب كان مصرعه !

لقد درس سنة رسول الله ، ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودرس سيرة رسول الله ، ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودرسته السنة ، ودرسته السيرة الشريفة لهما آثارهما الكثيرة .

وقد سبق أن كتبنا في السنة ودرستها كلمات نعيد جزءاً يسيراً منها هنا :

« إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر : أن يكون صدوقاً ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وإلى العامل : أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه !

وإلى الصانع : أن يؤدي العمل كما يحب ، حيث أخذ الأجر ،  
ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل !

وهي دعوة إلى الأب ، باعتباره أباً ، وإلى الأم في وضعها كأم ،  
وإلى الأخ في مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع : أن  
يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ؛ لأنه مسئول عن رعيته ،  
« وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » !

وهي دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه : « لا إيمان لمن لا أمانة  
له » !

وإلى الصدق : « وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله  
صديقاً » !

وإلى الرحمة - الرحمة العامة الشاملة - وصلوات الله وسلامه  
على من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » !  
ونخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع ، فستجد  
في السنة دعوة إليه بوسيلة وبأخرى ، وبثالثة .

وهي في هذه الدعوة تنبه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية في  
الاخلاق العالمية ، إن دورها : إنما هو دور الرائدة الراحية ، وعلى  
الرائد دائماً أن يكون المثل الأعلى والأسوة الكريمة ، والقذوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ، ﷺ ، الصورة الحية الناطقة التي طبقت  
كمبادئ إنسانية ، ممكنة : الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية  
جمعاء ، والذي عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه » !



درس الإمام « سعيد » السنة ، وتشربت روحه بها ، ودرس  
سيرة ، رسول الله ﷺ ، واتخذها نبراساً يهتدى بضوئه ، فكان :  
يعتر بالله ، ويتوكل عليه ، ويرجوه وحده ، وحينما تنأزم به  
الأوضاع لا يلجأ إلا إليه ، سبحانه !

هذا الاعتزاز بالله ، وهذه الكرامة الإسلامية لم يألفها أهل الدنيا ،  
وأصحاب الأهواء والشهوات ، وعبيد الأموال ، وعبيد الجاه !  
وكثير من هؤلاء لم يفهموا الإمام « سعيد » على حقيقته !  
وكثير منهم كان يثور العجب في نفسه لتصرفات الإمام !  
وكثير منهم كان يفهم ، ولكنه ما كان يستطيع أن يجارى الإمام  
في الاعتزاز بالله سبحانه !

وما كان امتحان الإمام - الذى ذكره صاحب الحلية - إلا ناشئاً  
عن اختيار « سعيد » لطريق حزب الله !  
أتدرى من هم حزب الله ؟ !

إن الله سبحانه وتعالى بين صفة حزبه فقال تعالى :  
﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله  
ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ،  
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات  
تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ،  
أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١) !

---

(١) المجادلة : ٢٢

كان الإمام من حزب الله ، ومن كان من حزب الله يحس بالله تعالى ناظرًا إليه في كل وقت ، ومعه في كل وقت : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (١) .

فلا يفعل إلا ما يرضيه سبحانه : إنه لا يتملق ، ولا يداهن ، ولا يأتي بما يغضب الله تعالى ، فإذا كان عالمًا سار في حياته على أنه من ورثة الأنبياء ، كما يقول رسول الله ، ﷺ :

« ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .  
وعن العلم والعلماء يتحدث القرآن الكريم ، وتحدث السنة النبوية الشريفة في استفاضة .

كان الإمام « سعيد بن المسيب » .. يعيش في حياته على الأسوة برسول الله ، ﷺ ، كما ذكرنا ، ومن هنا كان يعرف لنفسه كرامتها ، ويعرف لها طريقها في الحياة .

ومن هنا أيضًا كان بينه وبين الحكام الذين لا يسرون على نهج الشرع خصومة دائمة .

أما الحكام العادلون ، فإنه كان يذكّرهم بكل خير ، وكان يلين لهم ، بل ويؤوّرهم .

لقد كان « عمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه يقدر « سعيد بن المسيب » ، وكان « سعيد » يقدره ويحبه ، ويتحدث عنه .

---

(١) الحديد : ٤ .

أما بنو أمية ، وبنو مروان على الخصوص ، فإنه كان يبتعد عنهم ،  
دون أن يصرفه ذلك عن قول الحق .

ومن طريف ما حدث يوماً أن « عبد الملك بن مروان » جاء  
إلى مدينة رسول الله ﷺ ، يتفقد أحوالها ، وأحب أن ينام في  
الظهيرة ، كعادته ، « فامتنعت منه القائلة » ، ولم يجد للنوم من  
سبيل ، فقال لحاجبه :

انظر هل في المسجد أحد من خُدائنا من أهل المدينة ؟ ، فخرج  
الحاجب إلى المسجد ، فوجد « سعيد بن المسيب » في حلقة له ،  
فوقف بحيث يراه « سعيد » ، ولما نظر إليه « سعيد » غمزه بعينه ،  
وأشار إليه بإصبعه : أن اتبعني ، ثم ولى ، واعتقد الحاجب أن  
« سعيداً » يتبعه !

ومن الذى يمتنع عن إشارة حاجب الخليفة ؟ إن إشارته تكفى  
لأن يهرول من أشار إليه ، خاضعاً مسروراً !

ولكن الحاجب تلقت قلم ير « سعيداً » على أثره !

إن سعيداً لم يتحرك ، ولم يتبعه ، فدهش الحاجب ، وقال فى  
نفسه :

« أراه لم يفطن إلى » ، فجاء ودنا منه ، وقال له :

ألم ترنى أشير إليك ؟

قال « سعيد » وما حاجتك ؟

قال : استيقظ أمير المؤمنين فقال : انظر في المسجد أحداً من  
حدّاثي فأجب أمير المؤمنين !

قال « سعيد » : هل أرسلك إلى ؟

قال : لا ، ولكن قال : اذهب فانظر بعض حدّاثنا [محدّثينا] من  
أهل المدينة ، فلم أرَ أهياً منك !

فقال « سعيد » والهدوء يملؤه : اذهب فأعلمه أنني لست من  
حدّاثه !

وغمر الحاجب تياراً من الدهشة ، إذ لم يكن يعرف الإمام  
من قبل ، وخرج وهو يقول : « ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً » !  
وانه لمجنون في عرف عبيد الدنيا ، ولكنه في أعراف الحق  
يسير على هدى من قوله تعالى : ﴿ إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .  
وذهب الحاجب إلى « عبد الملك » فقال له :

ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم ، فقلت  
له : إن أمير المؤمنين قال : انظر هل ترى في المسجد أحداً من  
حدّاثي ؟

فقال : إنني لست من حدّاث أمير المؤمنين ، وقال لي : أعلمه !  
وكان عبد الملك ذكياً فطناً ، فقال : ذلك « سعيد بن المسيب »  
فدعه !

## (٢) امتحان ومحنة :

وقصة أخرى : قبل أن نتحدث عن « امتحانه » ، نتبين منها إحدى الصفات الأصلية في « سعيد بن المسيب » ، وهى : أنه ما كان يقيم وزناً إلا للمتقين !

أما الجاه ، والمنصب ، والرياسات على اختلاف أنواعها ، فإنه كان أكرم على نفسه من أن يدهن ، أو ينافق ويتملق ، وهذه القصة رواها « صالح بن كيسان » :

كان « عمر بن عبد العزيز » ، رضى الله عنه ، والياً على المدينة - وذلك قبل أن يتولى الخلافة - وجاء الخبر لعمر رضى الله عنه أن « الوليد بن عبد الملك » قادم إلى المدينة ، فخرج « عمر » ومعه عشرون رجلاً من أعيان قريش لاستقبال « الوليد » ، وكان الاستقبال خارج المدينة على بعد ليلتين منها ، إنهم انتظروه فى « السويداء » .

وقبل وصولهم إلى المدينة بقليل ، أخلى مسجد رسول الله ﷺ ، فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقي « سعيد بن المسيب » فى مصلاه ، ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرج به !

فلما دخل « الوليد » المدينة غداً إلى المسجد الشريف ، فقيل لسعيد : لو قمت ، فقال :

والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه !

قيل له : فلو سلمت على أمير المؤمنين !

قال : والله لا أقوم إليه !

وكان « عمر بن عبد العزيز » فى شىء من الحرج والإشفاق ،  
إنه يقول : « فجعلت أعدل « بالوليد » ناحية المسجد : رجاء ألا  
يرى « سعيداً » حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال :  
من الجالس ؟ أهو الشيخ « سعيد بن المسيب » ؟ ! فجعل  
« عمر » يقول : نعم يا أمير المؤمنين « من حاله ، ومن حاله ... » -  
وأخذ يتحدث عن صفات « سعيد » - ولو علم بمكانك لقام فسلم  
عليك ، وهو ضعيف البصر .

قال « الوليد » قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه !

ثم دار « الوليد » فى المسجد حتى وقف على الضريح الشريف ،  
ثم أقبل حتى وقف على « سعيد » ، فقال :  
« كيف أنت أيها الشيخ » ؟

يقول « عمر » : فوالله ما تحرك « سعيد » ولا قام ، فقال :  
بخير ، والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟  
قال « الوليد » : بخير ، والحمد لله .

وانصرف « الوليد » !! !

ماذا كان شعوره ؟ ما الذى أحس به ؟

إن « سعيداً » كان قد عُرف فى عهد « الوليد » ، وكانت أحواله  
وصفاته قد استقرت فى أذهان الناس : لقد عُرف أن « سعيداً » ليس



رجل مؤامرات ، ولا تطلعات إلى حكم أو منصب ، أو رئاسة ، وأن  
همه كل همه تحقيق التقوى والقرب من الله تعالى ، والهداية إلى الصراط المستقيم ، وما كانت الدنيا في نظره إلا معبرا للآخرة .

كل ذلك كان قد عُرف معرفة تامة في أيام « الوليد » ، ولذلك  
لم يغضب « الوليد » ، ولم يحدث في نفسه ضيق من أمر « سعيد » ،  
كان تعليقه الذي قاله لعمر :

« هذا بقية الناس ! »

وهو تعبير يطابق في معناه ما نقوله نحن الآن عن رجل نقى :

« هذا بقية السلف الصالح »

وأجاب « عمر » : أجل يا أمير المؤمنين .

والواقع أن الطريق الذي سار فيه « سعيد بن المسيب » من البعد  
عن شهوة الحكم وعن حب الرئاسة ، وعن المؤامرات والانقلابات :  
هو الطريق السليم ، والعالم الإسلامي هو وريث ، رسول الله ،  
ﷺ ، في الدعوة ، وهو حينما ينجح في هداية المجتمع يكون قد  
وصل إلى ما يصبو إليه من الهداية في الأحكام ، وإذا صلح المجتمع  
كأفراد ، فإنه لابد وأن يصلح كحكام ؛ ولكن شهوة الحكم غلبة ،  
وهي إذا دخلت على العلماء أفسدتهم ، وأفسدت المجتمع معهم ،  
وثارت حرب عوان بينهم وبين الحاكمين ، وهي عادة تكون وبالاً  
على العلماء ، أكثر مما تكون وبالاً على الحاكمين ؛ ولكن إذا اطمأن  
الحكام إلى التوايا السليمة للمصلحين الداعين إلى الله تعالى ، وإلى

تحكيم كتابه الكريم ؛ والاقتداء برسوله ، ﷺ ؛ وإذا التزم العلماء السلوك الصالح ، وكرسوا أنفسهم للعلم النافع ، وأخلصوا وجوههم لله في الدعوة إليه ، وإلى العمل بشريعته ، فإن أثرهم عند الشعب وعند الحاكمين يكون أثراً قوياً ، ينتهي عادة بصلاح المجتمع ، رعية ورؤساء .

يقول سادتنا الصوفية : إن الإنسان حينما يوفقه الله للأخذ في طريقه سبحانه ، فإنه يبدأ بتفرض الرذائل رذيلة رذيلة ، ولكن إحدى هذه الرذائل تستعصى عليه وتتأبى ، وهى رذيلة حب الرياسة ، فإذا ما أخلص القلب لله ، ونفّض هذه الرذيلة ، فإنه يصبح من المخلصين المخلصين .

وحب الرياسة يظهر أحياناً فى صور هينة ، مثل أن يحب الإنسان مدح نفسه ، فلا تكاد تجلس معه حتى يكون مدار الحديث عن نفسه ، وحتى يكون هو مركز الدائرة فى الحديث ، إنه فعل كذا ، وقام بكذا ، وقال كذا ؛ وهكذا دواليك ، وهذا الصنف ليس له فى الإخلاص نصيب وافر .

ولكن حب الرياسة الحقيقى هو أن تنازع أصحاب المراكز مراكزهم بالمؤامرات ، والانقلابات ، والمكر ، والخديعة ، وكلما دخل ذلك فى جو الدعوة أفسدها .

ونأى « سعيد بن المسيب » بنفسه عن ذلك ، وأخلص وجهه للدعوة ، ولكنه قد أصابه - من شرر الرياسة والحكم والسياسة - الشيء الكثير .

لم يكن يدخل في السياسة ، ولكنه أحياناً كان يدعى إلى عمل  
يعتقد أنه منافع للدين ، فيأبى .

كان الامتحان والابتلاء يدخل عليه دون أن يحاول هو الدخول  
فيه ، وكان أشد ما لقي في ذلك هو من هؤلاء الذين يتنازعون  
الحكم ، وتتمكن من نفوسهم شهوته ، ويريدون أن يستتصروا  
« بسعيد بن المسيب » على ما يريدون .

ويصادف أن يكون اليقين عند « سعيد » في رأيه يخالف ما  
يطلبون ، فينكل به ، وهو أعزل ، ويُسَاء إليه ، وهو ليس بصاحب  
شر ، وأول ما ناله من ذلك على يد الوالى من قبل « عبد الله بن  
الزبير » .

لقد ثار « عبد الله بن الزبير » على الأمويين ، ودعا لنفسه بالخلافة ،  
وبايعه خلق كثير ، ولكن امتنع عن البيعة البعض ، ومن هذا البعض .  
« عبد الله بن عمر » .

و « سعيد بن المسيب » .

أما « عبد الله بن عمر » فلم يتعرض له « ابن الزبير » ، بل كان  
رفيقاً به ، ولا يتأتى غير ذلك مع « عبد الله بن عمر » ، فإنه رجل  
وهب نفسه لله ، لا ينظر إلى دنيا ، ولا إلى منصب ، ولا إلى جاه ،  
وكان الناس جميعاً يحترمونه لكثير من صفات الخير فيه ، ومركز  
الدائرة في صفاته أنه كان يتحرى تحرياً تاماً ما كان يفعله الرسول ،  
ﷺ ، في حياته ، ويحاول - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - أن يفعل  
مثله ، بيد أن مسألة بيعة « عبد الله بن الزبير » لها قصة .

قال « الهيثم » : ثم إن ابن « الزبير » مضى إلى « صفية » بنت  
« أبي عبيد » .

وزوجة « عبد الله بن عمر » ، فذكر لها أن خروجه كان غضباً  
لله تعالى ورسوله ، عليه الصلاة والسلام ، والمهاجرين والأنصار من  
أثرة « معاوية » ، وابنه وأهله بالقيء ، وسألها مسأله :

أن يبايعه زوجها : عبد الله بن عمر .

فلما قدمت عشائه ، ذكرت له أمر « ابن الزبير » ، واجتهاده ،  
وأثنت عليه وقالت :

ما يدعو إلا إلى طاعة الله ، عز وجل ، وأكثر القول في  
ذلك ؛

فقال لها : أما رأيت بغلات « معاوية » اللواتي كان يحج عليهن  
الشهب ؟ فإن « ابن الزبير » ما يريد غيرهن . ا هـ .

بغلات « معاوية » الشهب ، المحلاة بالسروج المذهبة - وهي  
رمز الدنيا ، والغنى ، والجاه ، والسلطان .. إنها هي مطمح المتطلعين  
للإمامة ، وهي أصل النزاع ، وأساس الداء ، إنها الدنيا ، كما قلنا ،  
الأنهواء .

أما « سعيد بن المسيب » مع أنه كان أشبه الناس بسيدنا عبد الله بن  
عمر ، ومع أنه - كما يقول « عبد الله الخزاعي » - كان لا يخاصم  
أحدًا ، ولو أراد إنسان رداءه رمى به إليه ، ومع أنه كان - كما يقول  
« ابن كثير » - من أزهد الناس في فضول الدنيا ، والكلام

فيما لا يعنى ... مع ذلك ، ومع أنه لا شر فيه مطلقاً لأحد ، فقد ضربه عامل « ابن الزبير » على المدينة ستين سوطاً .

لقد استعمل « ابن الزبير » « جابر بن الأسود » على المدينة ، ودعا « جابر » الناس إلى بيعه « ابن الزبير » ، وباع من بايع ، وامتنع « سعيد » ، وكان سبب امتناعه هو ما ذكره عن قوله في الرد على « جابر » :

« لا ، حتى يجتمع الناس » .

فأمر بضربه ستين سوطاً .

وكان « جابر » هذا قد تزوج الخامسة قبل أن تنتهى عدة الرابعة ، فلما أخذت الشياط « سعيد بن المسيب » : صاح « بجابر » :

« والله ما ربت على كتاب الله ، يقول الله تعالى :

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾<sup>(١)</sup> !

وانك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة !

ثم صاح به أيضاً ، والشياط تأخذه ، قائلاً :

« وما هي إلا ليال ، فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره » !

يقول « عبد الواحد بن عون » :

فما لبث إلا يسيراً حتى قتل « ابن الزبير » .

---

(١) النساء : ٣ .

ويمكن هنا أن نتساءل : كيف تأتي « لسعيد » أن يؤكد :  
وما هي إلا ليال ... سوف يأتيك ما تكره .  
وتحقق كلام « سعيد » .. إنها لا شك ... . كرامة ، وكم  
« لسعيد » من كرامات .

ولكن من الإنصاف أن نقول إن « ابن الزبير » لم يرض عما  
فعله عامله « بسعيد » ، وأنه حينما بلغه ذلك كتب إلى عامله يلومه ،  
ويقول :

ما لنا و « لسعيد » ، دعه .. !



### (٣) امتحانه ومحتته :

كان « ابن الزبير » ينازع « يزيد ابن معاوية » فى الخلافة ،  
ماذا كانت النتيجة ؟

لقد جاءت جيوش الشام ، وجيوش الأمويين إلى المدينة ، وكانت  
موقعة الحرة الدامية ، المأساة التى ملأت القلوب فجيعة وأسى ، لقد  
انتصر جيش الأمويين بقيادة « مسلم بن عقبة » ، فلما انتصر لم يكن  
موقفه هو موقف الرسول الكريم حينما قال لأهل مكة :

« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

لقد كان ، ﷺ ، أخا كريما حقا ، وابن أخ كريم ، وسما  
بنفسه عن الحقد والضغينة ، وعفا عن المشركين الذين أساءوا إليه  
طيلة سنين عدة ، وعذبوه ، وعذبوا أصحابه ، وأخرجوه هو وأتباعه  
مهاجرين إلى المدينة ، وما كانوا معه فى يوم من الأيام كرماء أو  
حلماء ، وتمثل فيه بهذا الموقف العظيم - وكل مواقفه عظيمة -  
قول الله تعالى :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

وتمثل فيه قوله سبحانه :

---

(١) القلم : ٤ .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(١)</sup> .

أما « مسلم بن عقبة » فإنه حينما انتصر على « ابن الزبير » ، فإنه لم يدخل المدينة مطأطئ الرأس سائراً قدماً إلى المسجد الشريف ليصلي ركعتين شكراً لله تعالى ، وإنما دخلها فرعونى المظهر ، دخلها فى كبرياء ، وخيلاء ، وقسوة ، وأنهبها لجيشه ثلاثة أيام !! !

مدينة رسول الله ﷺ ، ينهبها لجيشه ثلاثة أيام !! ! وفيها ضريحه الشريف ، وفيها آثاره ، ﷺ ، وفيها بعض الصحابة ، وفيها نسعات من صدر الإسلام ، إنها السيرة العطرة للمهاجرين والأنصار ، الذين آزرُوا رسول الله ﷺ ، وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، واستشهد الكثير منهم فى سبيله ، ومن بقى كان يتمنى الشهادة .

المدينة ... إنه أنهبها ثلاثة أيام لجيشه .

ثم ماذا ؟ إنه فى قسوته البالغة بدأ يأخذ البيعة ليزيد بأسلوب لا إنسانية فيه ، ولا رحمة ولا إعلام .

قال « مصعب الزبيرى » : كان « مسلم بن عقبة » بعد ما أوقع بأهل المدينة يوم الحرة فى إمرة « يزيد بن معاوية » ، وأنهبها ثلاثاً ، أتى يقوم من أهل المدينة .

فكان أول من قدم إليه « محمد بن أبى الجهم » فقال له :

---

(١) الأنبياء : ١٠٧

بايع أمير المؤمنين « يزيد » ، على أنك عبد قنّ ، إن شاء أعتقك  
وإن شاء استرقك .

فقال له محمد : بل أبايع على أنى ابن عم ، كريم ، حر .  
فقال : اضربوا عنقه ، فقتل .

ثم قدم إليه « يزيد بن عبد الله بن زمعة » فقال له مثل ذلك ،  
فأجابته مثل جواب « محمد » ، فقدمه فقتله .

ثم قدم إليه « سعيد بن المسيب » فقال له : بايع أمير المؤمنين  
على أنك عبد قنّ ، فإن شاء أعتقك ، وإن شاء استرقك .  
فقال « سعيد » : لا أبايع عبداً ولا حراً .

فقال « مسلم » : مجنون والله .

فحنقه الشرطيان اللذان أتيا به حتى ثقل في أيديهما ، فظنا أنه  
قد مات ، فأرسلاه ، فسقط ، ثم أفاق ، فقال : لا والله ، لا والله .  
فتقدم إليه « مروان بن الحكم » ، و « عمرو بن عثمان » ،  
فشهدا أنه مجنون ، فقال : لقد ظننت ذلك ، أرسلاه .

فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فلحقه « مروان » ، و « عمرو بن  
عثمان » فقالا له : « الحمد لله الذى سلمك يا أبا محمد » .  
فقال : اذهبا ، ويحكمما ، أتشهدان بالزور وأنا أسمع ، وتنفسان  
على الشهادة ؟ والله لا أكلمكما أبداً .

هذا هو موقف « سعيد » من الفتنة الثانية أو الامتحان الثانى الذى  
واجهه بالنسبة للخلافة ، ولكن ماذا كان يصنع « سعيد » فى أيام الحرية ؟  
لقد لازم المسجد ، كان يلزم المسجد من قبل الفجر إلى ما بعد

العشاء ، روى عن « ابن حازم » قال : « سمعت » سعيد بن المسيب يقول : « لقد رأيتني ليالى الحرة ، وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون زمراً زمراً ، يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت صلاة إلا سمعت أذاناً من القبر ، ثم تقدمت ، فأقمت ، فصليت ، وما فى المسجد غيرى » .  
وهذه كرامة أخرى للإمام « سعيد » ، بل يمكن أن نقول كرامات ، فقد حفظه الله فى هذا الجو الذى ليس فيه إلا سفك الدماء وقطع الرؤوس ، وما كان يأتى وقت الصلاة إلا ويسمع آذاناً<sup>(١)</sup>

(١) يقول صاحب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة :

حكى يحيى وابن النجار : أن الآذان فى المسجد ترك فى أيام الحرة ثلاثة أيام ، وخرج الناس و « سعيد بن المسيب » فى المسجد ، وقال « سعيد » :  
استوحشت فدنوت إلى القبر ( أى قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ) ، فلما حضرت الظهر سمعت الآذان فى القبر ، فصليت ركعتين ، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ، ثم مضى ذلك الآذان والإقامة فى القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ، ورجع الناس وعاد المؤذنون ، فسمعت آذانهم ، فما سمعت الآذان فى قبر النبی ، صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى مجلسى الذى كنت فيه :

فإن قيل : كيف يحجون ويلبون ، ويصلون ، وهم أموات فى الدار الآخرة ، وليست دار عمل ؟

فالجواب : أنهم كالشهداء بل أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فلا يعد أن يحجوا ويصلوا .

ونقول : إن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور ، وإن المنقطع فى الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ، ولهذا إنهم يسبحون ويقرءون القرآن ، ومن هذا سجود النبی ، صلى الله عليه وسلم ، وقت الشفاعة ، وثبوت الحياة للشهيد بقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ( آل عمران : ١٦٩ ) .  
فالشهداء أحياء حقيقة عند جمهور العلماء . ا هـ .

من الضريح الشريف ، فيقيم الصلاة ، ويصلي ، وما في المسجد غيره ... وهذه كرامة أخرى .

لقد أساء بنو أمية إلى « سعيد » ، فماذا كان من « سعيد » بالنسبة لهم ؟

روى عن « أبي بكر بن عبد الله » ، قال :

« كان سعيد بن المسيب » إذا سئل عن هؤلاء القوم ، قال : أقول فيهم ما قولني ربي :

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾<sup>(١)</sup> .

ومرة أخرى قيل « لسعيد بن المسيب » :

ادع على بني أمية ، فقال :

« اللهم أعز دينك ، وأظهر أوليائك ، واخز أعدائك ، في عافية لأمة محمد ، ﷺ » .

ولكن ، ولكن تولى أمر المدينة « عمر بن عبد العزيز » ، صاحب السيرة العطرة : لعدله وتقواه ، فكانت بيته وبين « سعيد » مودة متبادلة وتقدير عظيم متبادل : وهكذا الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وما كان « سعيد » يأنف أن يذهب إلى « عمر بن عبد العزيز » ،

---

(١) الحشر : ١٠ .

ولكن « عمر بن عبد العزيز » كان يجله ، بحيث لا يكلفه المجيء إليه .

كان « سعيد » يمثل العالم الورع العفّ ، المتواضع لأهل الصلاح والتقوى ، وكان « عمر بن عبد العزيز » يمثل الحاكم الذى يعرف للعلماء المخلصين مكانتهم الكريمة .

وانظر إلى احترام « عمر » « لسعيد » :

عن « مالك ابن أنس » ، قال :

كان « عمر بن عبد العزيز » لا يقضى بقضاء حتى يسأل « سعيد ابن المسيب » كما ذكره « ابن سعد » ، فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فدعاه ، فجاءه حتى دخل عليه .

فقال « عمر » : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك .

وعن « مالك بن أنس » ، قال : كان « عمر بن عبد العزيز » يقول : ما كان بالمدينة ، عالم إلا يأتينى بعلمه ، وأوتى بما عند « سعيد بن المسيب » .

كان « سعيد » لا يأتى أحداً من الخلفاء ، ولكنه كان يأتى « عمر بن عبد العزيز » وهو بالمدينة .

ولقد كان تقدير « سعيد » لعمر عظيماً ، وانظر إلى القصة التالية :



روى عن « عبد الجبار بن أبي معن » ، قال : سمعت « سعيد  
ابن المسيب » ، وسأله رجل فقال له :

يا أبا محمد : من المهدي ؟ فقال له « سعيد » : أدخلت دار  
« مروان » ؟

قال : لا ، قال : فادخل دار « مروان » - دار الإمارة - تر  
المهدي .

قال : فأذن عمر بن عبد العزيز للناس ، فانطلق الرجل حتى  
دخل دار « مروان » ، فرأى الأمير وأناسا مجتمعين ، ثم رجع  
إلى « سعيد بن المسيب » ، فقال : يا أبا محمد : دخلت دار  
« مروان » ، فلم أر أحدا يقول هذا المهدي .

فقال له « سعيد بن المسيب » : هل رأيت الأشج : « عمر بن  
عبد العزيز » القاعد على السرير ؟

قال : نعم .

قال : فهو المهدي<sup>(١)</sup> .

هذا هو موقف عمر بن عبد العزيز : موقف كريم من رجل  
مؤمن ، وهذا هو امتحانه الثاني ومحنته الثانية ، اجتازهما في صلابته  
الوائقة في الله ، الذي لا يخشى إلا هو .

---

(١) والمعروف من سياق هذه القصة أن الرجل كان يسأل عن المهدي بالمعنى الذي  
ورد في بعض الآثار عن ظهور كائن يهدي الناس إلى الحق ، ويقودهم إلى طريق الله ، وكان  
الامام « سعيد » يقصد الرجل العادل ، الذي هداه الله ووقفه لصالح الأعمال .

(٤) امتحانه ومحتته :

أما الامتحان الثالث : فإنه كان أيضاً بسبب الخلافة ، وكم حدث  
عن الخلافة من مآسى ومن أحداث .

قال « ابن قتيبة » :

أجمع « عبد الملك بن مروان » على بيعة « الوليد » ، ثم من  
بعد « الوليد » « سليمان » ، فكتب إلى « الحجاج » ببيعة « الوليد » ،  
وسليمان » ، فبايع الحجاج لهما بالعراق ، فلم يختلف عليه أحد ،  
وبويع لهما بالشام ومصر واليمن ، وكتب « عبد الملك » إلى  
« هشام بن إسماعيل » ، وهو عامله على المدينة ، أن يأخذ بيعة أهل  
المدينة .

فلما أتت البيعة لهما ، كره « سعيد بن المسيب » ذلك ، وقال :  
لم أكن لأبايع بيعتين في الإسلام ، بعد حديث سمعته عن رسول  
الله ﷺ ، أنه قال :

« إذا كانتا بيعتين في الإسلام فاقتلوا الأحدث منهما » . ١ . هـ .

ماذا كان من أمر الوالى : هشام بن إسماعيل ؟

عن يحيى بن « سعيد » ، قال : كتب والى المدينة إلى عبد الملك  
ابن مروان أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة « للوليد وسليمان »  
إلا « سعيد بن المسيب » ..

فكتب ، أن اعرضه على السيف ، فإن مضى ، وإلا فاجلده  
خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة .

فلما قدم الكتاب على الوالى دخل « سليمان بن يسار » و « عروة  
ابن الزبير » و « سالم بن عبد الله على » سعيد بن المسيب « فقالوا :  
إنا قد جئناك فى أمر ، قد قدم فيك كتاب من « عبد الملك  
ابن مروان » ، إن لم تباع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك  
خصلا ثلاثة ، فأعطنا إحداهن ، فإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ  
عليك الكتاب ، فلا تقل لا ، ولا نعم .

قال : فيقول الناس بايع « سعيد بن المسيب » ، ما أنا بفاعل .

قال : وكان إذا قال : لا - لم يطيقوا عليه أن يقول : نعم .

قال : مضت واحدة ، وبقيت اثنتان .

قالوا : فتجلس فى بيتك ، فلا تخرج إلى الصلاة أياما ، فإنه  
يقبل منك إذا طلبت فى مجلسك فلم يجده .

قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذنى « حى على الصلاة » ، « حى  
على الفلاح » ، ما أنا بفاعل .

قال : مضت اثنتان ، وبقيت واحدة ، قالوا :

فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن  
لم يجده أمسك عنك .

قال : فرقا لمخلوق !! ما أنا بمتقدم لذلك شبرا ولا متأخر شبرا .

فخرجوا ، وخرج إلى الصلاة - صلاة الظهر - فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه .

فلما صلى الوالى بعث إليه فأتى به ، فقال :

إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تباع ضربنا عنقك .

قال : نهى رسول الله ، ﷺ ، عن بيعتين .

فلما رآه لا يجيب أخرج إلى السدة ، فمدت عنقه ، وسلت عليه

السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به فجرد ، فإذا عليه تَبَانٌ شعر<sup>(١)</sup> ،

فقال :

لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبان ، فضربه خمسين

سوطاً ، ثم طاف به أسواق المدينة ، ثم أوقفه فى الشمس .

وهنا موقف رائع حقاً ، فإنه حينما أوقفه فى الشمس لم يشعر

« سعيد » بضيق أو اضطراب أو قلق ، وإنما كان متماسكاً متزناً

هادئاً ، وهاك حادثة طريفة ترى منها كيف كانت حالته النفسية

وهو واقف فى الشمس .

حدث « أبو عوانة » عن « قتادة » قال : أتيت « سعيد بن

المسيب » ، وقد ألبس تَبَانٌ شعر وأقيم فى الشمس ، فقلت لقائدى :

ادنى منه ، فأدنانى منه ، فجعلت أسأله ، خوفاً من أن يفوتنى

وهو يجينى حسبة والناس يتعجبون .

---

(١) تَبَانٌ : سروال قصير يستر العورة .

إنه موقف يذكرنا بموقف « سقراط » وهو فى السجن ، وقد حكم عليه بالقتل ، ومع ذلك فإن تلاميذه - ومنهم « أفلاطون » - كانوا يحضرون إليه فى سجنه فيدرس لهم ، كما كان يفعل وهو طليق : هادئاً مطمئناً .

ماذا كان بعد ذلك من أمر الإمام سعيد .

لقد رده والى المدينة إلى السجن ، وأرسلت له ابنته بطعام طيب شهى كثير ، وذلك بعامل الشفقة ، وبعامل الحب ، فقال « سعيد » لمن حمل إليه الطعام :

اذهب إلى ابنتى فقل لها : لا تعود إلى هذا أبداً .

فهذه حاجة « هشام بن إسماعيل » ، يريد أن يذهب مالى ، فأحتاج إلى ما فى أيديهم ، وأنا لا أدرى ما أحبس ، فانظروا إلى القوت الذى كنت آكل فى بيتى ، فابعثى إلى به ، فكانت تبعث إليه بذلك ، لا تزيد عليه .

ومرة أخرى دخل عليه السجن « أبو بكر بن عبد الرحمن » ، فجعل يكلم « سعيداً » ويقول :

إنك لم ترفق به فى حديثك ؛ فقال : يا أبا بكر ، اتق الله وآثره على ما سواه ؛ قال :

فجعل « أبو بكر » يردد عليه : إنك خرقت ، ولم ترفق فى الحديث ، فجعل « سعيد » يقول :

إنك والله أعمى البصر ، أعمى القلب ، قال : فخرج « أبو بكر » من عنده ، وأرسل إليه « هشام بن إسماعيل » ، فقال :

هل لأن « سعيد » منذ ضربناه ؟ فقال « أبو بكر » : والله ما كان أشد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت ، فاكفف عن الرجل .  
وتحير « هشام بن إسماعيل » حيرة كبيرة : إنه يصدد رجل تقى صالح ، يستمسك برأيه ولا يحيد عنه ، يتشبث بالحق ولا يلين ، وهو من جهة أخرى قد جاءه الأمر من الخليفة بأخذ البيعة ، ولا بد له من ذلك ؛ ماذا يفعل ؟ لم يجد مناصاً من أن يكتب للخليفة من جديد ، فماذا حدث ؟

عن « المسور بن رفاعه » ، قال :

دخل « قبيصة بن ذؤيب » على « عبد الملك بن مروان » بكتاب « هشام بن إسماعيل » ، يذكر أنه ضرب « سعيداً » وطاف به .  
قال « قبيصة » : يا أمير المؤمنين ، يفتات عليك « هشام » بمثل هذا ؟ يضرب « ابن المسيب » ويطوف به ؟ والله لا يكون « سعيد » أبداً أمحل ولا ألج منه حين يضرب ، « سعيد » ، لو لم يبايع ما كان يكون منه ؟ ما « سعيد » ممن يخاف فتنه ، ولا غوائله على الإسلام وأهله ، وإنه لمن أهل الجماعة والسنة .

وقال « قبيصة » : اكتب إليه يا أمير المؤمنين فى ذلك .

فقال « عبد الملك » اكتب أنت إليه عنك فخبره برأى فيه ، وما خالفنى من ضرب « هشام » إياه .

فكتب « قبيصة » إلى « سعيد » بذلك .

فقال « سعيد » حين قرأ الكتاب : الله بينى وبين من ظلمنى .  
وندم « هشام بن إسماعيل » على ما صنع « بسعيد » فخلى سبيله .



لقد خلى سبيله ولكن نهى عن مجالسته ، وكان « سعيد » يعلن ذلك لكل من جلس إليه ، حتى لا يساء إلى من جالسه .  
عن « عبد الله بن القاسم » ، قال : جلست إلى « سعيد بن المسيب » فقال : إنه قد نهى عن مجالستي ، قال : قلت إني رجل غريب .  
قال : إنما أحببت أن أعلمك .

وحدث « العلاء بن عبد الكريم » ، قال : جلست إلى « سعيد بن المسيب » فقال :  
أنه قد نهى عن مجالستي .

وحدث « همام » عن قتادة عن « سعيد بن المسيب » : أنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال :

إنهم قد جلدوني ، ومنعوا الناس أن يجالسوني .  
أما في نهاية هذه المأساة ، فإنه لا يسعنا إلا أن نسجل للإمام « سعيد » هذا الموقف الذي يتسم بالنبل والشهامة .

لقد نكل « هشام بن إسماعيل » بالإمام تنكيلاً كثيراً ، وكان يسعه باعتباره والياً أن يتصرف تصرفاً غير ذلك : لقد ضربه ، وطاف به في السوق ، وسجنه .

ودارت الأيام دورتها ، والأيام دول .

لقد غضب « الوليد بن عبد الملك » على « هشام بن إسماعيل » ، وولى إمرة المدينة « عمر بن عبد العزيز » وكتب إليه أمراً صريحاً : أن يوقف « هشام بن إسماعيل » للناس ، فمن كانت عليه مظلمة أخذه بها .

ماذا كان موقف الإمام ؟ وما تنتظر منه ؟

لقد قال لابنه ومواليه :

لا يعرض أحد منكم لهذا الرجل فيّ ؛

تركت ذلك لله ، وللرحم .

أما قوله « للرحم » ، فإن « هشام » كان ابن عم « سعيد » ،

وإذا كان « هشام » لم يرع للرحم حرمة فإن ذلك ما كان يتأتى

أن يغرب عن شعور سعيد .

وانتهت هذه الفتن ، وهذا « سعيد » .

لم يفتن « سعيداً » في أيام « الحجاج » ، وقد عجب الناس

لذلك وسألوا « سعيداً » نفسه :

ما شأن « الحجاج » لا يبعث إليك ، ولا يهيجك ولا يؤذيك ؟

قال : والله ما أدري ، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة ، فجعل

لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفا من حصباء فحصبته بها .

قال « الحجاج » : فمازلت أحسن الصلاة .

وبعد : ففي نهاية الحديث عن محنة سعيد وامتحانه ، لا يسعنا

إلا أن نذكر بشعار من شعارات الدعاة ، أعلنه القرآن الكريم مبداً

لكل داع :

يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ

أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) الأحزاب : ٣٩ -

## الفصل الرابع سهيبة بن المسيب

(١) المحدث :

كان علماء السنة يعرفون بسيماهم ، فقد كانوا من الزهد في  
حطام الدنيا بحيث لا ينازعون الناس في دنياهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين  
عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان  
بمن ييده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك  
ذو الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين : لقد كان الصدق دينهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل .

لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم ، عملاً على مرضاة الله ورسوله  
ﷺ .

وإن كل من أشريت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق  
الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف - دائماً - لسهام النماذج  
الأيمة التي استهوها الشيطان في قليل أو في كثير . إنه النزاع  
الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد ربّت السنة رجالاً ، وخصائصها التى ربّت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها .

ولقد شهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

وكان « سعيد بن المسيب » من هؤلاء الذين ربّتهم السنة فأشربوا حب الاقتداء برسول الله ﷺ .

ولقد استكمل العناصر التى يجب أن تكون فى المحدث ، وهى .

#### ( أ ) قوة الذاكرة :

عن « عمران بن عبد الله » قال : سألت « سعيد بن المسيب » فانتسبت له ، فقال : لقد جلس أبوك إلى فى خلافة « معاوية » ، فسألنى عن كذا وكذا ، فقلت له : كذا وكذا .. ولذلك كان « عمران » يقول : « والله ما أراه مر على أذنه شىء قط إلا وعاه قلبه » ..

#### ( ب ) الاهتمام البالغ بالحديث :

عن « مالك بن أنس » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال : « إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » .

#### ( ج ) احترام الحديث :

عن « محمد بن سعيد بن المسيب » قال :

دخل « المطلب بن حنطب على سعيد بن المسيب » في مرضه وهو مضطجع ، فسأله عن حديث فقال : أقعدوني فأقعدوه .. فقال الرجل : وددت أنك لم تتعن .. فقال : « إني أكره أن أحدث حديث رسول الله ، ﷺ ، وأنا مضطجع » .

( د ) أن يكون ثقة صدوقاً :

قال « أبو طالب » : قلت « لأحمد » : « سعيد بن المسيب » ؟ فقال : ومن مثل « سعيد » ؟ .. ثقة من أهل الخير . وقال « أبو زرعة » : كان مدنيًا ، ثقة ، إمامًا . وقال « أبو حاتم » : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في « أبي هريرة » .

وروى « الربيع » عن « الشافعي » أنه قال :

« إرسال « سعيد بن المسيب » عندنا حسن » .

« والحديث المرسل هو الحديث الذي يرويه التابعي عن رسول الله ، ﷺ ، دون أن يذكر الصحابي الذي أخذ عنه ، أو سمع منه » .

وقال « الإمام أحمد بن حنبل » : هي صحاح ، « وسعيد بن المسيب » أفضل التابعين .

وقال « علي بن المديني » : لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه ،

وإذا قال سعيد : مضت السنة ، فحسبك به ، وهو عندي من أجلّ التابعين .

وقال « ابن حجر » : اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل .  
وروى عن « علي بن الحسين » قال :

« سعيد بن المسيب » أعلم الناس فيما تقدم من الآثار ، وأفقههم في رأيه .

(هـ) أن يكون شيوخه الذين يروى عنهم ثقات :

وقد كان شيوخ « سعيد » الصحابة ، بل وكبار الصحابة . لقد أدرك طائفة من أجلاء الصحابة ، وطائفة من العشرة المبشرين بالجنة ، وطائفة من زوجات الرسول ، عليه السلام ، وقد كان يأخذ في استفاضة عن « أبي هريرة » ، رضى الله عنه ، وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما .

ونذكر هنا ما رواه كتاب حلية الأولياء عنه ، يقول صاحب الحلية :

ومن مسانيد حديثه :

حدثنا « أبو بكر بن خلاد » ، قال : حدثنا الحارث بن أبي أسامة  
قال : حدثنا عبد لوهاب بن عطاء قال : حدثنا داود بن أبي هند  
عن « سعيد بن المسيب » قال :

قال « عمر بن الخطاب » ، رضى الله تعالى عنه ، على هذا المنبر - يعنى منبر المدينة - : إني أعلم أن أقواماً سيكذبون بالرجم ،



ويقولون ليس في القرآن ، ولولا أني أكره أن أزيد في القرآن لكتبت في آخر ورقة أن رسول الله ، ﷺ ، قد رجم ، ورجم « أبو بكر » ، وأنا رجمت ، رواه « يحيى بن سعيد » عن « سعيد » مثله .

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا « يزيد بن هارون » ، أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع « سعيد بن المسيب » يذكر أن عمر قال :

إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم - فذكرتموه .

حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الحسن بن منصور الرماني قال :

حدثنا المعافى بن سليمان قال : حدثنا حكيم بن نافع عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ، ﷺ : « أول ما يرفع من الأمة الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مُصلٍّ لا خير فيه » .

حدثنا أبو بكر بن مالك ، قال : حدثنا عبد الله ابن حنبل . قال : حدثنا يعقوب ابن حميد بن كاسب قال : حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال :

حدثنا الحسن بن الحر قال : سمعت « يعقوب بن عتبة بن الأخنس » يقول : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « من اعتز بالعبيد أذله الله » .

حدثنا مُحمد بن عمر ، قال : حدثنا محمود بن المروزي قال :  
حدثنا أحمد بن يعقوب قال : حدثنا الوليد بن سلمة عن « يونس  
ابن يزيد » عن « ابن شهاب الزهري » عن « أحمد » عن « سعيد بن  
المسيب » عن « عثمان بن عفان » : أن النبي ﷺ قال :  
« إذا سمعتم النداء فقوموا ، فإنها عزمة من الله » .

حدثنا أبو بكر الطلحي ، قال حدثنا أبو حصين محمد بن الحسن  
الوادعي ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا قيس - يعني  
« ابن الربيع » - عن « عبد الله بن عمران » عن « علي بن زيد »  
عن « سعيد بن المسيب » عن « علي بن أبي طالب » رضي الله  
تعالى عنه أنه قال لفاطمة ، رضي الله تعالى عنها :  
« ما خير النساء ؟ قالت : « أن لا يرين الرجال ولا يرونهن »  
فذكره للنبي ﷺ ، فقال :

« إنما فاطمة بضعة مني ! »

حدثنا محمد بن عمر بن سالم قال : حدثنا سعيد بن علي بن  
الخليل « قال : حدثنا إسحق بن العنبر ، قال : حدثنا نصر بن  
ثابت » عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن  
« علي بن أبي طالب » ، رضي الله تعالى عنه ، قال : قال النبي ﷺ ،  
:

« من اتقى الله عاش قويًا ، وسار في بلاده آمنًا » .

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال :  
حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا سفيان بن حسين عن « الزهري » عن

« سعيد بن المسيب » عن « أبي هريرة » قال : قال رسول الله ،  
ﷺ ، « من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فهو  
قمار » .

حدثنا حبيب بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن بكر بن حيان ،  
قال : حدثنا عمر بن الحصين ، قال : حدثنا إبراهيم بن عطاء ،  
عن « يزيد بن عياض » عن « الزهري » عن « سعيد بن المسيب »  
عن « عمار بن ياسر » قال : قال النبي ، ﷺ :  
« حسن الخلق خلق الله الأعظم » .

حدثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن داود « المكي »  
قال : حدثنا حبيب كاتب « مالك » ، قال : حدثنا ابن أخي  
الزهري ، عن « الزهري » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن  
« أبي بن كعب » ، قال :  
قال رسول الله ، ﷺ :

« قال لي جبريل ، ليك الإسلام على موت عمر ، رضي الله  
تعالى عنه » .

حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن قال : حدثنا أحمد بن إسحاق  
الخشاب الرقي ، قال : حدثنا زريق أبو القاسم الحمصي ، قال :  
حدثنا الحكم بن عبد الله الأيلي ، قال : حدثنا الزهري عن  
« سعيد بن المسيب » ، عن « عائشة » ، رضي الله تعالى عنها ،  
أن رسول الله ، ﷺ قال :

« إن لكل شيء شرفاً يتباهون به ، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن » .

## (٢) الفقيه :

وأظهر نواحي « سعيد بن المسيب » العلمية هي : الفقه .  
وكان من عاداته الجميلة : أنه ما كان يفتى فتياً . أو يقول شيئاً  
إلا قال : « اللهم سلمني ، وسلم مني » .

وفقهه بناه على أساس من الحديث ، إنه لم يكن من أهل الرأي ،  
وإنما كان من أهل الأثر ، والواقع أن الفرق بين أهل الرأي وأهل  
الأثر ليس فرقاً كبيراً ، فكل منهم يعتمد أولاً وقبل كل شيء على  
الأثر ، وكل منهم يقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » .

ولا يختلف موقفهم في أن الأساس ، إنما هو القرآن والسنة ،  
وكل ما بينها من فرق أن أهل الرأي يستعملون القياس أكثر من  
أهل الأثر ، ولكنهم جميعاً - تجاه الحديث الصحيح - لا موقف  
لهم إلا التسليم .

كان « سعيد بن المسيب » من أهل الأثر ، وأهل الأثر يعنون  
عناية بالغة بالحديث ، ومن هنا كان « سعيد بن المسيب » محدثاً ،  
وفقيهاً .

وكان فقهه معنياً عناية خاصة بآثار رسول الله ، ﷺ ، في القضاء  
وآثار كبار صحابته .

روى عن « مسعر بن كدام » عن « سعد بن إبراهيم » ، عن  
« سعيد بن المسيب » ، قال :

« ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، مني » ، قال « مسعر » وأحسب قد قال « وعثمان ، ومعاوية » .

ويروى « ابن سعد » في طبقاته .

عن « ليث بن سعد » ، « ومالك بن أنس » ، عن « يحيى بن سعيد » قال : كان يُقال « ابن المسيب » راوية « عمر » قال « ليث » : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته .

ويجمع « مكحول » « وقتادة » « والزهرى » وغيرهم قائلين : ما رأينا أعلم من « ابن المسيب » ، وإذا كان هذا إجماعهم فإننا نذكر شيئاً من تفصيلهم في ذلك :

ويتحدث « مكحول » عن « سعيد بن المسيب » أكثر من مرة ، إنه يقول مثلاً :

« سعيد بن المسيب » : عالم العلماء .

وعن « إسماعيل بن أمية » ، قال : قال « مكحول » : ما حدثكم به فهو عن « ابن المسيب » « والشعبي » .

وعن « سعيد بن عبد العزيز التنوخي » ، قال : سألت « مكحولاً » من أعلم من لقيت ؟ قال : « ابن المسيب » .

ويتحدث صاحب الشذرات عن « سعيد بن المسيب » ويروى عن « قتادة » كلمة تتصل « بسعيد » و « الحسن البصري » ، ومنزلة « الحسن البصري » ومكانته السامية بين التابعين معروفة ، يقول « قتادة » :

« ما جمعت علم « الحسن » إلى علم أحد إلا وجدت له عليه فضلاً ، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب إلى « ابن المسيب » يسأله . »

أما عن الحلال والحرام فيقول « قتادة » :  
ما رأيت أحداً قط أعلم بحلال الله وحرامه من « سعيد بن المسيب » .

وقال « الزهري » : كان يقال : « ليس أحد أعلم بكل ما قضى به « عمر » » و« عثمان » منه .

وقال « الزهري » : « جالسته سبع حجج ، وأنا لا أظن أن أحداً عنده علم غيره » ، وروى عن « الأوزاعي » قال سئل « مكحول » و « الزهري » : مَنْ أفقه من أدركتما ؟ فقالا : « سعيد بن المسيب » .

وقال « علي بن المديني » لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وهو عندى أجلُّ التابعين .

ويقول صاحب البداية والنهاية بإسناده :

قال ابن « عمر » : كان « سعيد » أحد المتقنين .

وقال « محمد بن إسحاق » عن « مكحول » : قال طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من « سعيد بن المسيب » .  
وبلغ من فقه « سعيد » أن « قدامة بن موسى الجمحي » قال :  
كان « سعيد بن المسيب » يفتي وأصحاب رسول الله ، ﷺ ، أحياء ،



هذا وقد سبق أن تحدثنا عن رأى « ابن عمر » فى « سعيد » .  
وتحدثنا عن رأى الإمام « أحمد بن حنبل » فيه .  
ونحب الآن أن نذكر رأى الإمام « مالك » .

( هو ومالك ) :

روى عن « مالك » : أن « القاسم بن محمد » سأله رجل عن  
شئ فقال : أسألت أحداً غيرى ؟ قال : « نعم » ، « عروة » وفلاناً  
و « سعيد بن المسيب » . فقال : « أطع « ابن المسيب » ، فإنه  
سيدنا وعالمنا » .

قال : مالك : ما استوحش « سعيد بن المسيب » إلى أحد قط  
خالفه .

وصلت الإمام « مالك » « بسعيد بن المسيب » صلة وثيقة ، وذلك  
أن الإمام مالكا كثيراً ما يذكر فى كتابه النفيس « الموطأ » آراء  
« سعيد بن المسيب » فى المسائل التى يعرض لها ، وكتاب الموطأ  
من أنفس الكتب الفقهية ، وهو يسير فى الفقه على أسلوب موفق  
وذلك أنه يعتمد على الأحاديث الشريفة وآثار الصحابة والتابعين ،  
رضوان الله عليهم .

وتحتل آراء « سعيد » مكاناً لا بأس به من الموطأ .

ومن أجل بيان بعض آراء سعيد فى الفقه أخذت فى دراسة  
كتاب الموطأ لأستخرج منه آراء الإمام « سعيد » وأذكر رأى الإمام

« مالك » فقط في الحالات التي يعلق فيها على كلام « سعيد » مؤيدًا أو مخالفًا أو شارحًا أو محددًا .

وقبل الأخذ في ذلك نقول : يروى « ابن سعد » عن « عاصم » قال : سمعت سعيد بن المسيب يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويروى عن علي « بن زيد » قال : كان « سعيد بن المسيب » يصلي التطوع في رحله . ( ص ٩٩ ) .

ويروى صاحب الحلية عن « ابن حرملة » قال : ما سمعت « سعيد بن المسيب » سب أحدًا من الأئمة قط ، إلا أنني سمعته يقول : قاتل الله فلانًا ، كان أول من غير قضاء رسول الله ، ﷺ ، وقد قال النبي ، ﷺ :

« الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

وأهل الأثر لا يعنون فقط بالسنة ، وإنما يعنون أيضًا وفي الدرجة الأولى بالقرآن ، وبخاصة آيات الأحكام فيه .

وقد كان « سعيد » معنيا بالقرآن عناية كبيرة .

يقول « ابن سعد » في طبقاته ، بسنده : إن « سعيد بن المسيب » كان يقرأ القرآن بالليل على راحلته فيكثر ، وهذا في السفر ، والأمر كان كذلك في الإقامة .

ومن طرائف « سعيد » ، ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال :

كان « سعيد بن المسيب » إذا مر بالمكتب ، قال للصبيان : « هؤلاء الناس بعدنا » .

وله فى التفسير نظرات مشرقة :

يروى صاحب الحلية عن « يحيى بن سعيد » عن أبيه ، أن  
« سعيد بن المسيب » قال فى تفسير قوله تعالى :  
﴿إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾<sup>(١)</sup> .

« الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ، ثم يتوب ، ولا يعود  
فى شىء قصداً » .

بيد أن ما روى « عن سعيد » فى التفسير كان قليلاً ، ولعل  
من أسباب ذلك ، ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال : « أدركت  
الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم « سعيد »  
ورأيه شيئاً كثيراً .

ومع ذلك فقد روت كتب التفسير عن « سعيد » آراء كثيرة  
فى تفسير القرآن : ومن ذلك !

يقول « سعيد » فى قوله تعالى عن « يحيى » عليه السلام :

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ، وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال : « السيد » : « الفقيه العالم » ، « الحضور » : « الذى  
لا يغشى النساء » .

ويذكر صاحب رسالة فقه « سعيد بن المسيب » ما يلى :

---

(١) الإسراء : ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٣٩)

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

قال « البغوى و « الخازن » . قال « سعيد بن المسيب » : « القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض » .

قال تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا كما ترى من تفسير القرآن بالقرآن<sup>(٣)</sup> :

قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٤)</sup> .

المراد بالطريقة : الإسلام ، كذا قال « سعيد بن المسيب »<sup>(٥)</sup> .

قوله تعالى : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾<sup>(٦)</sup> .

روى « الطبرى » بسنده عن « سعيد بن المسيب » قال : « الماعون

يلسان قریش : المال » وهذا تفسير لغوى بحث كما ترى<sup>(٧)</sup> .

يبد أن « سعيد بن المسيب » كان فقيهاً أولاً وقبل كل شيء ، لقد كان أحد الفقهاء السبعة الذين اختلطوا بالصحابة فى المدينة

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان (٨٨ - ٨٩) .

(٢) سورة البقرة آية (١٠) .

(٣) تفسير « البغوى » و « الخازن » ١٠٠/٥ .

(٤) سورة الجن آية (١٦) .

(٥) تفسير « ابن كثير » ٤٣١/٤ .

(٦) سورة الماعون آية (٧) .

(٧) تفسير « الطبرى » ٢٠٦/٣٠ « القرطبى » ٢١٤/٢٠ .

المنورة وتعلمدوا عليهم ، وأخذوا عنهم ، وكان « سعيد » رأس هؤلاء السبعة .

يقول « ابن سعد » فى طبقاته :

أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : كان السبعة الذين يسألون بالمدينة ، وينتهى إلى قولهم : « سعيد بن المسيب » و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » و « عروة بن الزبير » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » و « القاسم بن محمد » و « خارجة بن زيد » و « سليمان بن يسار » .

وقد أحببت أن أساهم فى التعريف بفقهه ، وكنت من آن لآخر أقرأ فى موطأ الإمام « مالك » وفى هذه الطبعة الجميلة التى حققها ، وعلق عليها المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وكتاب الموطأ من الكتب المثالية فى الفقه وهو يتتبع دائماً الحديث ، ويسير وراء الآثار ، ويروى من آن لآخر رأى « سعيد بن المسيب » أو خبراً رواه « سعيد » يعبر عن رأيه .

وكان الإمام « مالك » ، رضى الله عنه ، يخالف رأى « سعيد » أحياناً ، ويوافقه أحياناً ، ويحدده أو يشرحه ، أو يبين ظروفه أحياناً أخرى .

وبدأت من جديد أتمس آراء « سعيد » فى الموطأ ، وإنى لأشكر الذين ساعدونى فى ذلك ، وسيرى القراء فيما يلى ، الآراء وأرقام صفحاتها فى هذه الطبعة الجميلة من « الموطأ » : طبعة الأستاذ فؤاد عبد الباقي .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » : أن رسول الله ، ﷺ قال : « من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مساجدنا ، يؤذينا بريح الثوم » . [ط ج د ص ١٧] .

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي « أنه رأى سعيد بن المسيب رعف وهو يصلي ، فأتى حجرة « أم سلمة » زوج النبي ، ﷺ ، فأوتى بوضوء فتوضأ ، ثم رجع فبنى على ما قد صلى » . [ط ج ١ ص ٣٨] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، أنه قال : رأيت « سعيد بن المسيب » يرفع ، فيخرج منه الدم ، حتى تختضب أصابعه من الدم الذي يخرج من أنفه ؛ ثم يصلي ، ولا يتوضأ » . [ط ج ١ ص ٣٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » قال : ما ترون فيمن غلبه الدم من رعاف فلم ينقطع عنه ؟ قال مالك : قال « يحيى بن سعيد » .

ثم قال « سعيد بن المسيب » : « أرى أن يومئ برأسه إيماء » . قال « يحيى » : قال « مالك » : وذلك أحب ما سمعت ، إلى في ذلك » . [ط ج ١ ص ٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ؛ أن « عمر بن الخطاب » و « عثمان بن عفان » و « عائشة » زوج النبي ، ﷺ ، كانوا يقولون : « إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل » . [ط ج ١ ص ٤٥] .



عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « أبا موسى الأشعري » أتى « عائشة » زوج النبي ﷺ ، فقال لها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبي ﷺ ، في أمر ، إني لأعظم أن استقبلك به .

فقلت : ما هو ؟ ما كنت سائلاً عنه أملك ، فسلني عنه . فقال : « الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا يُنزَلِ » ؟ فقلت : « إذا جاوز الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » . فقال « أبو موسى الأشعري » : « لا أسأل عن هذا أحدًا بعدك أبداً » .

[ط ج ١ ص ٤٦] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ؛ أن رجلاً سأل « سعيد بن المسيب » عن الرجل الجنب ، يتيمم ثم يدرك الماء ، فقال « سعيد » : إذا أدرك الماء ، فعليه الغسل لما يستقبل . [ط ج ١ ص ٥٦] .

عن « مالك » عن « سُمَيَّ » ، مولى « أبي بكر بن عبد الرحمن » ، « أن القعقاع بن حكيم » ، و « زيد بن أسلم » أرسلاه إلى « سعيد بن المسيب » ، يسأله كيف تغتسل المستحاضة ؟ فقال : « تغتسل من طهر إلى طهر ، وتتوضأ لكل صلاة ، فإن غلبها الدم استنشرت » .

عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه ملك ، وعن شماله ملك ، فإذا أذن وأقام الصلاة أو أقام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال » .

[ط ج ١ ص ٧٤] .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » و « أبي سلمة ابن عبد الرحمن » ، أنهما أخبراه عن « أبي هريرة » ؛ أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « إذا أَمَّنَ الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

قال « ابن شهاب » : وكان رسول الله ، ﷺ ، يقول « آمين » .  
[ط ج ١ ص ٨٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبي سلمة بن عبد الرحمن » مثل ذلك .

قال « مالك » : كل سهو كان نقصاناً من الصلاة ، فإن سجوده قبل السلام ، وكل سهو كان زيادة في الصلاة فإن سجوده بعد السلام .  
[ط ج ١ ص ٩٥] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن رجلاً عطس يوم الجمعة وإمام يخطب ، فشتمته إنسان إلى جنبه ، فسأل عن ذلك « سعيد بن المسيب » ، فنهاه عن ذلك ، وقال : « لا تعد » .  
[ط ج ١ ص ١٠٤] .

عن « مالك » ؛ أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها » .  
[ط ج ١ ص ١١٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : كان « أبو بكر الصديق » ، إذا أراد أن يأتي فراشه أوتر ، وكان « عمر بن الخطاب » يوتر آخر الليل ، قال « سعيد بن المسيب » : فأما أنا ، فإذا جئت فراشي أوترت . [ط ج ١ ص ١٢٤] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً » .

[ط ج ١ ص ١٢٩] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، عن « سعيد بن المسيب » أن رسول الله ، ﷺ قال : « يتنا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونهما » أو « نحو هذا » . [ط ج ٢ ص ١٣٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن رجلاً سأل « سعيد بن المسيب » فقال : « إني أصلي في بيتي ، ثم آتي المسجد ، فأجد الإمام يصلي ، فأصلي معه ، فقال « سعيد » : نعم ، فقال الرجل : فأيهما صلاتي ؟ فقال سعيد : أو أنت تجعلهما ؟ إنما ذلك إلى الله » .

[ط ج ١ ص ١٣٣] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « عروة بن الزبير » ، و « سعيد بن المسيب » ، كان يصليان النافلة ، وهما محتبان » .

[ط ج ٢ ص ١٣٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » ، أن سائلاً سأل رسول الله ، ﷺ ، عن الصلاة في ثوب واحد ، فقال رسول الله ، ﷺ : « أو لكلكم ثوبان ؟ » .

[ط ج ٢ ص ١٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : سئل « أبو هريرة » : هل يصلي الرجل في ثوب واحد ؟ فقال :

نعم ، فقل له : هل تفعل أنت ذلك ؟ فقال : نعم ، إني لأصلي  
في ثوب واحد ، وإن ثيابي لعلّ المشجب . [ط ج ١ ص ١٤٠] .  
عن « عطاء الخراساني » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » ،  
قال : « من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر ، أتم الصلاة » .  
قال « مالك » : « وذلك أحب ما سمعت إلى » .

[ط ج ٢ ص ١٤٩] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال : يقال  
لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء ، إلا أحد يريد الرجوع إليه  
إلا منافق . [ط ج ١ ص ١٦٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
« ما صلاة يُجلس في كل ركعة منها ؟ » .

ثم قال « سعيد » : هي المغرب ، إذا فاتت منها ركعة ، وكذلك  
سنة الصلاة كلها . [ط ج ١ ص ١٦٩] .

عن « عباد بن تميم » ، عن عمه ، أنه رأى رسول الله ﷺ ،  
مستلقياً في المسجد ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن  
الخطاب » ، و « عثمان بن عفان » ، رضي الله عنهما ، كانا يفعلان  
ذلك . [ط ج ١ ص ١٧٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه أخبره  
أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل يوم الفطر قبل الغدو .

قال « مالك » : « ولا أرى ذلك على الناس ، فى الأضحى » .  
[ط ج ١ ص ١٧٩] .

عن « نافع » ، أن « عبد الله بن عمر » لم يكن يصلى يوم  
الفطر قبل الصلاة ولا بعدها ، عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن  
المسيب » كان يغدو إلى المصلى ، بعد أن يصلى الصبح قبل طلوع  
الشمس » .  
[ط ج ١ ص ١٨١] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
« ما صلى رسول الله ، ﷺ ، الظهر والعصر يوم الخندق حتى  
غابت الشمس » .  
[ط ج ١ ص ١٨٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
« صلى رسول الله ، ﷺ ، بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً نحو  
بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين » .  
[ط ج ١ ص ١٩٦] .

عن « عمارة بن صياد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه  
يقول فى الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : ( الله أكبر ، وسبحان  
الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ) .  
[ط ج ١ ص ٢١٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » ، كان يقول :  
« إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده » ، وقال بيديه نحو السماء  
فرفعهما » .  
[ط ج ١ ص ٢١٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبى  
هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ ، نعى النجاشى للناس ، فى اليوم



الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات .

[ط ج ١ ص ٢٢٦]

عن « يحيى بن سعيد » ، قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : صليت وراء « أبي هريرة » على صبي لم يعمل خطيئة قط ، فسمعت يقول : « اللهم أعذه من عذاب القبر » .

[ط ج ١ ص ٢٢٨]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار ، إلا تحلة القسم » .

[ط ج ١ ص ٢٣٥]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبي سلمة بن عبد الرحمن » عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « فى الركاز الخمس » ، قال « مالك » : الأمر الذى لا اختلاف فيه عندنا ، والذى سمعت أهل العلم يقولون : إن الركاز إنما هو دفنٌ يوجد من دفن الجاهلية ، ما لم يُطلب بمال ، ولم يُتكلف فيه نفقة ، ولا كبير عمل ، ولا مؤونة ، فأما ما طلب بمال ، وتكلف فيه كبير عمل ، فأصيب مرة وأخطىء مرة فليس بركاز » .

[ط ج ١ ص ٢٤٩]

عن « عبد الله بن دينار » أنه قال : سألت « سعيد بن المسيب » عن صدقة البراذين ، فقال : وهل فى الخيل من صدقة ؟

[ط ج ١ ص ٢٧٨]



عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » ، عن « سعيد بن المسيب »  
أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » .  
[ط ج ١ ص ٢٨٩] .

عن « عطاء بن عبد الله الخراساني » ، عن « سعيد بن المسيب » ،  
أنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يضرب نحره ، وينتف شعره ،  
ويقول هلك الأبعد ، فقال له رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فقال :  
أصبت أهلي ، وأنا صائم في رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل  
تستطيع أن تعتق رقبة ؟ » فقال : لا ، فقال : « هل تستطيع أن تهدي  
بدنة ؟ » قال : لا ، قال : « فاجلس » فأتى رسول الله ﷺ بفرق  
تمر ، فقال : « خذ هذا فتصدق به » ؛ فقال : ما أحد أحوج مني ،  
فقال : « كله ، وصم يوماً مكان ما أصبت » .

قال « مالك » ، قال « عطاء » ، فسألت « سعيد بن المسيب » :  
كم في ذلك الفرق من التمر ؟ فقال : « ما بين خمسة عشر صاعاً  
إلى عشرين » .  
[ط ج ١ ص ٢٩٧] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه سئل  
عن رجل نذر صيام شهر ، هل له أن يتطوع ؟ فقال سعيد :  
« ليبدأ بالنذر قبل أن يتطوع » .

قال « مالك » : وبلغني عن « سليمان بن يسار » مثل ذلك .  
[ط ج ١ ص ٣٠٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يُسأل عن  
قضاء رمضان ، فقال سعيد : « أحب إلي أن لا يفرق قضاء رمضان  
وأن يُؤاثر » .  
[ط ج ١ ص ٣٠٤] .

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول :  
« من شهد العشاء من ليلة القدر ، فقد أخذ بحظه منها » .

[ط ج ١ ص ٣٢١] .

عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » أن « أسماء  
بنت عميس » ولدت « محمد بن أبي بكر » بذي الحليفة « فأمرها  
أبو بكر » أن تغتسل ، ثم نُهل » . [ط ج ١ ص ٣٢٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول  
في المنطقة يلبسها المحرم تحت ثيابه : « أنه لا بأس بذلك ، إذا جعل  
طرفيها جميعاً سيوراً ، يعقد بعضها إلى بعض » .

قال « مالك » : « وهذا أحب ما سمعت في ذلك إلى » .

[ط ج ١ ص ٣٢٧] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي » أن رجلاً سأل « سعيد  
ابن المسيب » فقال : « أعتمر قبل أن أحج ؟ فقال سعيد : نعم ،  
قد اعتمر رسول الله ﷺ ، قبل أن يحج » . [ط ج ١ ص ٣٤٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن  
أبي سلمة » استأذن « عمر بن الخطاب » أن يعتمر في شوال ،  
فأذن له ، « فاعتمر ثم قفل إلى أهله ، ولم يحج » .

[ط ج ١ ص ٣٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :  
« من اعتمر في شوال ، أو في ذي القعدة ، أو في ذي الحجة ،

ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج ، فهو متمتع إن حج ، وما استيسر  
من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع .  
[ط ج ١ ص ٣٤٥]

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ، وسالم بن  
عبد الله و « سليمان بن يسار » مثلوا عن نكاح المحرم ، فقالوا :  
« لا يُنكح المحرم ولا يُنكح » . [ط ج ١ ص ٣٤٩]

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يحدث  
عن « أبي هريرة » : أنه أقبل من البحرين ، حتى إذا كان بالريذة  
وجد ركبا من أهل العراق محرمين ، فسألوه عن لحم صيد وجدوه  
عند أهل الريذة ، فأمرهم بأكله ، قال : ثم إنني شككت فيما أمرتهم  
به ، فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك « لعمر بن الخطاب » ، فقال  
عمر : ماذا أمرتهم به ؟ فقال أمرتهم بأكله ، فقال « عمر بن  
الخطاب » : « لو أمرتهم بغير ذلك لفعلت بك ، يتواعده » .  
[ط ج ١ ص ٣٥١]

عن « محمد بن عبد الله بن أبي مريم » ، أنه سأل « سعيد بن  
المسيب » عن ظفر له انكسر وهو محرم ، فقال سعيد : اقطعه .  
[ط ج ١ ص ٣٥٨]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
« من ساق بلدة تطوعا ، فعطبت ، فنجسها ، ثم خلى بينها وبين  
الناس يأكلونها ، فليس عليه شيء ، وإن أكل منها ، أو أمر من  
يأكل منها ، غرمها » . [ط ج ١ ص ٣٨١]

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :

ما ترون في رجل وقع بامرأته وهو محرم ؟ فلم يقل له القوم شيئاً ، فقال « سعيد » : إن رجلاً وقع بامرأته وهو محرم ، فبعث إلى المدينة يسأل عن ذلك ، فقال بعض الناس : يفرق بينهما إلى عام قابل ، فقال « سعيد بن المسيب » : لينفذا لوجههما فليتما حجَّهما الذي أفسداه ، فإذا فرغا رجعا ، فإن أدركهما حج قابل ، فعليهما الحج والهدى ، ويُهْلان من حيث أهلاً بحجَّهما الذي أفسداه ، ويتفرقان حتى يقضيا حجَّهما » . [ط ج ١ ص ٣٨٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » قال : « من عقص رأسه ، أو ضفر أو لبَّد ، فقد وجب عليه الحلاق » . [ط ج ١ ص ٣٩٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد ابن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » لما قدم مكة صلى بهم ركعتين ، ثم انصرف فقال : « يا أهل مكة ، أتموا صلاتكم ، فإننا قوم سفر » ، ثم صلى « عمر بن الخطاب » ركعتين بمنى ، ولم يبلغنا أنه قال لهم شيئاً . [ط ج ١ ص ٤٠٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « في حمام مكة إذا قتل شاة » . [ط ج ١ ص ٤١٥] .  
عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « كان الناس في الغزو ، إذا اقتسموا غنائمهم ، يعدلون البعير بعشرة شاة » . [ط ج ٢ ص ٤٥٠] .

وقد قال « سعيد بن المسيب » ، وسئل عن البراذين ، هل فيها من صدقة ؟ فقال : « وهل فى الخيل من صدقة » .

[ط ج ٢ ص ٤٥٧] .

عن « عبد الله بن أبي حبيبة » قال : قلت لرجل ، وأنا حديث السن : ما على الرجل أن يقول على مشى إلى بيت الله ، ولم يقل على نذر مشى ، فقال لى رجل : هل لك أن أعطيك هذا الجرو ، لجرو قثاء فى يده ، وتقول على مشى إلى بيت الله ؟ قال فقلت نعم ، فقلته وأنا يومئذ حديث السن ، ثم مكثت حتى عقلت ، فقيل لى : إن عليك مشيا ، فجئت « سعيد بن المسيب » فسألته عن ذلك فقال لى : عليك مشى . فمشيت .

قال « مالك » : « وهذا الأمر عندنا » . [ط ج ٢ ص ٤٧٣] .

عن « عروة بن أذينة الليثى » ، أنه قال : خرجت مع جدة لى عليها مشى إلى بيت الله ، حتى إذا كنا ببعض الطريق عجزت ، فأرسلت مولى لها يسأل « عبد الله بن عمر » ، فخرجت معه ، فسأل « عبد الله بن عمر » ، فقال له « عبد الله بن عمر » : مرها فلتركب ، ثم لتمشن من حيث عجزت .

قال « يحيى » : وسمعت « مالكا » يقول : ونرى عليها مع ذلك الهدى .

وحدثنى عن « مالك » أنه بلغه : أن « سعيد بن المسيب » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » ، كانا يقولان مثل قول « عبد الله بن عمر » . [ط ج ٢ ص ٤٧٣] .



عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : ما ذبح به إذا بضع [قطع] فلا بأس به إذا اضطررت إليه .  
[ط ج ٢ ص ٤٩٠] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « زكاة ما في بطن الذبيحة في زكاة أمه ، إذا كان قد تم خلقه ، ونبت شعره » . [ط ج ٢ ص ٤٩٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يكره أن تقتل الإنسية بما يقتل به الصيد من الرمي وأشباهه .  
[ط ج ٢ ص ٤٩١] .

عن « مالك » عن الثقة عنده ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : أبي « عمر بن الخطاب » أن يورث أحداً من الأعاجم إلا أحداً ولد في العرب .  
[ط ج ٢ ص ٥٢٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه قال : قال « عمر بن الخطاب » « لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ، أو ذي الرأي من أهلها ، أو السلطان » .  
[ط ج ٢ ص ٥٢٥] .

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : قال « عمر بن الخطاب » : « أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون ، أو جذام ، أو برص ، فمسها ، فلها صداقها كاملاً ، وذلك لزوجها غرم على وليها » .

قال « مالك » : وإنما يكون ذلك غرمًا على وليها لزوجها إذا كان وليها الذي أنكحها هو أبوها أو أخوها ، أو من يرى أنه يعلم



ذلك منها، فأما إذا كان وليها الذي أنكحها ابن عم، أو مولى، أو من العشيرة، ممن يرى أنه لا يعلم ذلك منها، فليس عليه غرم، وترد تلك المرأة ما أخذته من صداقها، ويترك لها قدر ما تستحل به.»

[ط ج ٢ ص ٥٢٦.]

عن « يحيى بن سعيد »، عن « سعيد بن المسيب »، أن « عمر ابن الخطاب » قضى في المرأة إذا تزوجها الرجل، أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق.»

عن « مالك »، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول: « إذا دخل الرجل بالمرأة في بيتها، صدّق الرجل عليها، وإذا دخلت عليه في بيته صدقت عليه »، قال « مالك »: أرى ذلك في المسيس إذا دخل عليها في بيتها، فقالت قد مسنى، وقال لم أمسها صدق عليها، فإن دخلت عليه في بيته فقال لم أمسها وقالت قد مسنى صدقت عليه.»

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن المرأة تشتط على زوجها أنه لا يخرج بها من بلدها، فقال « سعيد بن المسيب » يخرج بها إن شاء، قال « مالك »: فالأمر عندنا أنه إذا شرط الرجل للمرأة، وإن كان ذلك عنده عقدة النكاح، أن لا أنكح عليك، ولا أتسرر: إن ذلك ليس بشيء، إلا أن يكون في ذلك يمين بطلاق أو عتاقة، فيجب ذلك عليه ويلزمه.»

[ط ج ٢ ص ٥٣٠.]

عن « يحيى بن سعيد »، عن « سعيد بن المسيب » أنه كان

يقول : « يُنْهَى أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا ، أَوْ عَلَى خَالَتِهَا ، وَأَنْ يَطَّأَ الرَّجُلُ وَلِيدَةً ، وَفِي بَطْنِهَا جَنِينَ لغيره » .

[ط ج ٢ ص ٥٣٢]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « سليمان بن يسار » ، أن « طليحة الأسدية » كانت تحت رشيد الثقفي فطلقها ، فنكحت في عدتها ، فضربها عمر بن الخطاب « وضرب زوجها بالمخفقة ضربات ، وفرق بينهما ، ثم قال « عمر بن الخطاب » : أيما امرأة نكحت في عدتها ، فإن كان زوجها الذي تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ، ثم كان الآخر خاطبا من الخطأ ، وإن كان دخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من الأول ، ثم اعتدت من الآخر ، ثم لا يجتمعان أبداً » .

قال « مالك » : وقال « سعيد بن المسيب » : ولها مهرها بما استحل منها » .

[ط ج ٢ ص ٥٣٦]

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أنه كان يقول : من تزوج امرأة فلم يستطع أن يمسه ، فإنه يضرب له أجل ، سنة ، فإن مسه ، وإلا فرق بينهما » .

[ط ج ٢ ص ٥٨٥]

عن « ابن شهاب » أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » ، و « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » ، و « عبيد الله بن عتبة بن مسعود » ، و « سليمان بن يسار » كلهم يقول : سمعت « أبا هريرة » يقول : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول : « أيما امرأة طلقها زوجها تطليقة أو

تطليقتين ، ثم تركها حتى تحل وتتكح زوجا غيره ، فيموت عنها أو يطلقها ، ثم ينكحها زوجها الأول ، فإنها تكون عنده وعلى ما بقى من طلاقها .

قال « مالك » : « وعلى ذلك السنة عندنا التي لا اختلاف فيها » . [ط ج ٢ ص ٥٨٦]

عن « مالك » : أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان ابن يسار » ، « سئلا عن طلاق السكران فقالا : إذا طلق السكران جاز طلاقه ، وإن قتل قتل به » ، قال « مالك » : « وعلى ذلك الأمر عندنا » . [ط ج ٢ ص ٥٨٨]

عن « مالك » : أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « إذا لم يجد الرجل ما يتفق على امرأته فرق بينهما » .

قال « مالك » : « على ذلك أدركت أهل العلم ببلدنا » . [ط ج ٢ ص ٥٨٩]

عن « عمرو بن شعيب » ، عن « سعيد بن المسيب » « أن « عمر بن الخطاب » كان يرد المتوفى عنهن أزواجهن من البيداء ، يمنعهن الحج » . [ط ج ٢ ص ٥٩١]

عن « مالك » ، أنه بلغه : أن « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان بن يسار » كانا يقولان : « عدة الأمة إذا هلك عنها زوجها شهران وخمس ليال » . [ط ج ٢ ص ٥٩٣]

عن « إبراهيم بن عتبة » ، أنه سأل « سعيد بن المسيب » عن الرضاة ، فقال « سعيد » : « كل ما كان في الحولين ، وإن كانت

قطرة واحدة فهو يحرم ، وما كان بعد الحولين ؛ فإنما هو طعام يأكله » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤] .

قال « إبراهيم بن عقبة » : ثم سألت « عروة بن الزبير » ، فقال : مثل ما قال « سعيد بن المسيب » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : « لارضاعة إلا ما كان فى المهد ، وإلا ما أنبت اللحم والدم » . [ط ج ٢ ص ٦٠٤] .

عن « مالك » ، عن « عبد الحميد بن سهيل » ، بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن أبى سعيد الخدرى ، « وعن أبى هريرة » ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خير ، فجاءه بتمر جنيب ، فقال له رسول الله ﷺ : ( أكل تمر خير هكذا ؟ ) فقال : لا والله يا رسول الله ، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة .

فقال رسول الله ﷺ : ( لا تفعل ، بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيهاً » . [ط ج ٢ ص ٦٢٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ﷺ نهى عن المزاينة والمحاقلة ، و « المزاينة اشتراه التمر بالتمر<sup>(١)</sup> » ، « والمحاقلة اشتراه الزرع بالحنطة واستكراء الأرض بالحنطة » .

---

(١) قال « مالك » نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزاينة . وتفسير المزاينة : أن كل شيء من الجراف الذى لا يعلم كيلاه ولا وزنه ولا عدده ، ابتاع بشيء مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد .

قال « ابن شهاب » : فسألت « سعيد بن المسيب » عن استكراء الأرض بالذهب والورق ؟ فقال : « لا بأس بذلك » .

[ط ج ٢ ص ٦٢٥] .

عن « مالك » ، عن « أبي الزناد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « لا ربا إلا في ذهب أو فضة ، أو ما يكال أو يوزن ، بما يؤكل أو يشرب » .

[ط ج ٢ ص ٦٣٥] .

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض » .

[ط ج ٢ ص ٦٣٥] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط » ، أنه رأى « سعيد بن المسيب » يراطل الذهب بالذهب ، فيفرغ ذهبه في كفة الميزان ، ويفرغ صاحبه الذي يراطله ذهبه في كفة الميزان الأخرى ، فإذا اعتدل لسان الميزان أخذ وأعطى » .

[ط ج ٢ ص ٦٣٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « جميل بن عبد الرحمن المؤذن » يقول « لسعيد بن المسيب » : إني رجل أبتاع من الأرزاق التي تعطى الناس بالجار [محل معروف] ، ما شاء الله ، ثم أريد أن أبيع الطعام المضمون على إلى أجل ، فقال له سعيد : أتريد أن توفيهم من تلك الأرزاق التي ابتعت ؟ فقال : نعم ، فنهاه عن ذلك .

« يرى الإمام » مالك أن من كان يتناغ طعاما أو حبوا أو شيئا من الأدم تباعا ، فإنه لا يبيعه حتى يقبضه ويستوفيه » .

[ط ج ٢ ص ٦٤٢] .



عن « أبي الزناد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » و « سليمان بن يسار » « ينهيان أن يبيع الرجل حنطة بذهب إلى أجل ، ثم يشتري بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب » .

[ط ج ٢ ص ٦٤٣] .

قال « مالك » : وإنما نهى « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان ابن يسار » ، و « أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » ، و « ابن شهاب » ، عن ألا يبيع الرجل حنطة بذهب ثم يشتري الرجل بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب من يبعه الذي اشتري منه الحنطة ، فأما أن يشتري بالذهب التي باع بها الحنطة إلى أجل تمرًا من غير بائعه الذي باع منه الحنطة قبل أن يقبض الذهب ، ويحيل الذي اشتري منه التمر على غريمه الذي باع منه الحنطة بالذهب التي له عليه في ثمر التمر ، فلا بأس بذلك .

قال « مالك » : وقد سألت عن ذلك غير واحد من أهل العلم ، فلم يروا به بأسًا .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « لا ربا في الحيوان ، وإنما نهى من الحيوان عن ثلاثة : » عن المضامين ، والملاقيح ، وحبل الحبلّة ، [والمضامين يبيع ما في بطون إناث الإبل ، والملاقيح يبيع ما في ظهور الجمال] .

[ط ج ٢ ص ٦٥٤] .

عن « زيد بن أسلم » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أن رسول الله ﷺ ، نهى عن بيع الحيوان باللحم » . [ط ج ٢ ص ٦٥٥] .

عن « داود بن الحصين » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :



« من ميسر أهل الجاهلية بيع الحيوان باللحم ، بالشاة والشاتين » .  
[ط ج ٢ ص ٦٥٥] .

عن « أبي الزناد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول :  
« نهى عن بيع الحيوان باللحم » .

قال « أبو الزناد » : فقلت لسعيد بن المسيب أرأيت رجلاً اشترى  
شارفاً بعشرة شياة ؟ فقال سعيد : « إن كان اشتراها لينخرها فلا خير  
في ذلك » . [ط ج ٢ ص ٦٥٥] .

عن « أبي حازم بن دينار » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن  
رسول الله ﷺ ، « نهى عن بيع الغرر » . [ط ج ٢ ص ٦٦٤] .

قال الأزهري : بيع الغرر ، ما كان على غير عهدة ولا ثقة ،  
وتدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :  
« إذا جئت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام بها ، وإذا جئت  
أرضاً ينقصون المكيال والميزان فأقل المقام بها » .

[ط ج ٢ ص ٦٨٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول  
الله ﷺ ، قال لليهود خبير ، يوم افتتح خيبر : « أقرم فيها ما أقرم  
الله عز وجل ، على أن التمر بيننا وبينكم » . قال ، فكان رسول  
الله ﷺ ، يبعث « عبد الله بن رواحة » فيحرص بينه وبينهم ، ثم  
يقول : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلي ، فكانوا يأخذونه .

[ط ج ٢ ص ٧٠٣] .

عن « ابن شهاب » ، أنه قال : سألت « سعيد بن المسيب »  
عن كراء الأرض بالذهب والورق . فقال : « لا بأس به » .  
[ط ج ٢ ص ٧١١] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن  
« أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، أن رسول الله ﷺ ،  
« قضى بالشفعة فيما لم يقسم بين الشركاء ، فإذا وقعت الحدود  
بينهم فلا شفعة فيه » .

قال « مالك » : « وعلى ذلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا » .  
[ط ج ٢ ص ٧١٣] .

قال « مالك » : إنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن  
الشفعة هل فيها من سنة ؟ فقال : « نعم الشفعة في الدور والأرضين ،  
ولا تكون إلا بين الشركاء » .  
[ط ج ٢ ص ٧١٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر  
ابن الخطاب » اختصم إليه مسلم ويهودى ، فرأى عمر أن الحق  
 لليهودى ، فقضى له ، فقال له اليهودى : والله لقد قضيت بالحق ،  
فضربه « عمر بن الخطاب » ، بالدرة ثم قال : وما يدريك ؟ فقال  
له اليهودى : إنا نجد أنه ليس قاض يقضى بالحق ، إلا كان عن  
يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ، ما دام مع  
الحق ، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه :  
[ط ج ٢ ص ٧١٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول  
الله ﷺ قال : « لا يفلق الرهن » .

قال « مالك » : وتفسير ذلك فيما نرى والله أعلم ، أن يرهن الرجل الرهن عند الرجل بالشئ ، وفي الرهن فضل عما رهن به ، فيقول الراهن للمرتهن : إن جئتك بحقك إلى أجل يسميه له ، وإلا فالرهن لك بما رهن فيه .

قال : فهذا لا يصلح ولا يحل ، وهذا الذى نهى عنه ، وإن جاء صاحبه بالذى رهن به بعد الأجل فهو له ، وأرى هذا الشرط منفسخاً . [ط ج ٢ ص ٧٢٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلاً من أهل الشام يقال له « ابن خبيري » ، وجد مع امرأته رجلاً فقتله ، أو قتلها معا ، فأشكلى على « معاوية بن أبي سفيان » القضاء فيه ، فكتب إلى « أبي موسى الأشعري » يسأل له « على بن أبي طالب » عن ذلك ، فسأل « أبو موسى » على بن أبي طالب ، فقال له على : إن هذا الشئ ما هو بأرضي ، عزمت عليك لتخبرني ، فقال له « أبو موسى » : كتب إلى معاوية بن أبي سفيان « أن أسألك عن ذلك ، فقال « على » : أنا أبو حسن : إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته .

« أى يسلم إلى أولياء المقتول فإن شاؤوا طلبوا القصاص وإن شاؤوا عفووا .

يقول الأستاذ فؤاد عبد الباقي :

والرمة : قطعة من حبل ، لأنهم كانوا يقودون القتال إلى ولى المقتول بحبل ، ولذا قيل ، القود . [ط ج ٢ ص ٧٣٧] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » قال وهو مسند ظهره إلى الكعبة : « من أخذ ضالة فهو ضال » . [ط ج ٢ ص ٧٥٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عثمان بن عفان » قال : « من نحل ولدا له صغيرا [أعطاه شيئا بغير عوض عن طيب نفس] ، لم يبلغ أن يجور نُحِلَّه ، فأعلن ذلك له ، وأشهد عليها ، فهي جائزة وإن وليها أبوه » . [ط ج ٢ ص ٧٧١] .

حدثني « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن عبد له ولد من امرأة حرة لمن ولاؤهم ؟ فقال سعيد : « إن مات أبوهم وهو عبد لم يعتق فولاؤهم لموالي أمهم » .

[ط ج ٢ ص ٧٨٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلاً من أسلم جاء إلى « أبي بكر الصديق » فقال له : إن الآخر زنى ، فقال له أبو بكر : هل ذكرت هذا لأحد غيري ؟

فقال : لا ، فقال له « أبو بكر » : فتب إلى الله ، واستتر بستر الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده ، فلم تقرره نفسه حتى أتى « عمر بن الخطاب » فقال له مثل ما قال « لأبي بكر » ، فقال عمر مثل ما قال له « أبو بكر » ، فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : إن الآخر زنى ، فقال « سعيد » : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك يعرض عنه رسول الله ﷺ حتى إذا أكثر عليه ، بعث رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « أيسئلكي أم به جنة ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، والله إنه لصحيح ،

فقال رسول الله ﷺ : « أبكر أم ثيب ؟ » فقالوا : بل ثيب يا رسول الله ، « فأمر به رسول الله ﷺ فرجم » . [ط ج ٢ ص ٨٢٠] .  
 عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أسلم ، يقال له « هزال » : « يا هزال » ، « لو سترته بردائك لكان خيراً لك » قال « يحيى بن سعيد » ، فحدثت بهذا الحديث في مجلس فيه « يزيد بن نعيم بن هزال الأسلمي » ، فقال يزيد : « هزال جدّي ، وهذا الحديث حق » . [ط ج ٢ ص ٨٢١] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه يقول : لما صدر « عمر بن الخطاب » من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ، ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ، ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال : أيها الناس قد ، سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم قال : إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ، أن يقول قائل لا نجد حدّين في كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا ، والذي نفسي بيده ، لولا أن يقول الناس : زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتهما ( الشيخ والشيخة فارجموهما ألّيته ) ، فإننا قد قرأناها .

قال « مالك » : قال « يحيى بن سعيد » : قال « سعيد بن المسيب » . فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر ، رحمه الله . [ط ج ٢ ص ٨٢٤] .



عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :  
« ما من شيء إلا الله يحب أن يعفى عنه ، ما لم يكن حداً » .

[ط ج ٢ ص ٨٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان  
يقول : تعاقل المرأة الرجل إلى ثلث الدية ، إصبعها كإصبعه ، وستها  
كسنته ، وموضحتها كموضحته ، ومَنَقَلَتها كمَنَقَلته .

[ط ج ٢ ص ٨٥٣] .

عن « ابن شهاب » ، « عن سعيد بن المسيب » ، أن رسول  
الله ﷺ قضى في الجنين يقتل في بطن أمه بغرة ، « عبد أو وليدة » ،  
فقال الذي قضى عليه : كيف أغرم ما لا شرب ولا أكل ، ولا نطق  
ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ، فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا  
من إخوان الكهان » .

[ط ج ٢ ص ٨٥٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول  
في الشفتين الدية كاملة ، فإذا قطعت السفلى ففيها ثلثا الدية .

[ط ج ٢ ص ٨٥٦] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
« كل نافذة [كل جراحة نافذة] في عضو من الأعضاء ففيها ثلث  
عقل ذلك العضو » .

[ط ج ٢ ص ٨٥٩] .

حدثني « مالك » : كان « ابن شهاب » لا يرى ذلك ، وأنا  
لا أرى في نافذة في عضو من الأعضاء في الجسد أمراً مجتمعاً  
عليه ، ولكنني أرى فيها الاجتهاد ، يجتهد الإمام في ذلك ، وليس  
في ذلك أمر مجتمع عليه عندنا .

[ط ج ٢ ص ٨٥٩] .



عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن « أبي هريرة » ، أن رسول الله ﷺ قال : « جرح العجماء جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار <sup>(١)</sup> . وفي الركاز الخمس . قال مالك : وتفسير الجبار أنه لا شيء فيه . [ط ج ٢ ص ٨٦٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » قتل نفرًا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة ، وقال « عمر » : « لو تملاً عليه أهل صنعاء لقتلهم جميعاً » . [ط ج ٢ ص ٨٧١] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » ، أنه كان يقول : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها ، قال رسول الله ﷺ : « ما بين لابتيها حرام » . [ط ج ٢ ص ٨٨٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين ، وإياكم والبغضة ، فإنها هي الحالقة » . [ط ج ٢ ص ٩٠٤] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . [ط ج ٢ ص ٩٠٦] .

---

(١) جبار : أى هدر لا شيء فيه ، والمراد بالعجماء : البهيمة ، ومن مات فى حفر هتر بانهيار البئر عليه ، ومن مات وهو يحث عن المعادن فانهار عليه المكان ... كل ذلك هدر لا شيء فيه .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال :  
كان إبراهيم ، عليه السلام ، أول الناس ضيِّف الضيف ، وأول الناس اختتن ،  
وأول الناس قص الشارب ، وأول الناس رأى الشيب ، فقال : يارب .  
ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : « وقار يا إبراهيم » ، فقال : رب  
زدني وقارا . [ط ج ٢ ص ٩٢٢]

عن « صدقة بن يسار » ، أنه قال : « سألت « سعيد بن المسيب »  
عن لبس الخاتم ، فقال : البسه ، وأخبر الناس أني أفتيتك بذلك » .  
[ط ج ٢ ص ٩٣٦]

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ، عن « سعيد بن المسيب » ،  
أنه كان يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « الشيطان يهم بالواحد  
والاثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » . [ط ج ٢ ص ٩٧٨]

## الفصل الخامس من حكمه

قال « سعيد بن المسيب » :

« إن الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها فى غير سبيلها<sup>(١)</sup> . »

وكان يقول ، وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة :

« ما شئ أخوف عندى من النساء<sup>(٢)</sup> . »

وكان يقول :

« الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله عز وجل فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته<sup>(٣)</sup> . »

وكان رضى الله عنه يقول :

« لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم  
لكى لا تحبط أعمالكم الصالحة<sup>(٤)</sup> . »

---

(١) حلية الأولياء .

(٢) الطبقات الكبرى .

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني .

(٤) الطبقات الكبرى .

وكان رضى الله عنه يقول :

« لا تقولوا مسجدا ، ولا مصيحا ، بالتصغير ، فتصغروا ما كان لله تعالى ، فهو عظيم جليل <sup>(١)</sup> » .

وكان يقول :

« من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، وكان الناس يستأذنون عليه من هيئته كما يستأذنون على الأمراء <sup>(٢)</sup> » .

وكان يقول :

« ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله <sup>(٣)</sup> » ؛ رضى الله عنه .

وحدث « سعيد بن المسيب » قال :

« ما أكرمت العباد أنفسهم بمثل طاعة الله عز وجل ؛ ولا أهانت أنفسهم بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله <sup>(٤)</sup> » .

وقال : « إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه <sup>(٥)</sup> » .

---

(١) الطبقات الكبرى .

(٢) الطبقات الكبرى .

(٣) الطبقات الكبرى .

(٤) الطبقات الكبرى .

(٥) الطبقات الكبرى .

وعن « عبد الله بن أخي الزهري » ، عن عمه ، عن « سعيد بن المسيب » قال :

« من استغنى بالله افتقر الناس إليه<sup>(١)</sup> » .

وحدث « علي بن زيد » قال :

رأى « سعيد بن المسيب » وعلى جبة خز ، فقال : إنك لجيد الجبة .

قلت : وما تغنى عني وقد أفسدها علي سالم ، فقال « سعيد » :  
« أصلح قلبك ، والبس . ما شئت<sup>(٢)</sup> » .

وحدث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد : أن سعيد بن المسيب كان يكثر أن يقول في مجلسه : « اللهم سلم سلم<sup>(٣)</sup> !! » .  
وقد سمع « عبيد الله بن عبد الرحمن » « سعيد بن المسيب » يقول :

« يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته<sup>(٤)</sup> » .

---

(١) الطبقات الكبرى .

(٢) الحلية .

(٣) الحلية .

(٤) الحلية .

## الفصل السادس تعبيره للرؤى

لقد رأى الناس الأحلام منذ أن وجدوا على ظهر البسيطة ، واختلف الناس فى الموقف بالنسبة لها ، فبعضهم لا يعبرها اهتماماً : إنها صور تمر على الإنسان فى نومه ، ولا تستأهل أكثر من « اللامبالاة » .. ونوع آخر من بنى الإنسان يتفاعل بالرؤى الطيبة ، ويتشاءم من الرؤى السيئة ..

ولقد تحدثت الأديان عن الرؤى ، وكانت الرؤى مدار بحث فى علم النفس الحديث .

ولقد وقف منها علم النفس الحديث موقفه من كل الظواهر .. إنه يفسرها تفسيراً مادياً ، ويعزوها إلى أحد عاملين :

عامل البيئة المحيطة بالإنسان ، من دفء وبرودة ، ومن ضوء أو ظلمة ، ومن ضجيج أو سكون ، وقد أجرى التجارب على ذلك فأضاء النور الساطع فى غرفة النائم ، ثم أيقظه ، فإذا به يحلم ببزوغ الشمس مثلاً ، وقرب منه أشياء تشع الحرارة فإذا به يرى حلماً يناسبها ، وهكذا .

والعامل الثانى فيما يرى علم النفس الحديث هو الحالة الداخلية للإنسان نفسية كانت أو جسمية :



إن الحالة الداخلية تنعكس أحلاماً ، يرى الإنسان ما يتناسب معها .  
ولم يعد علم النفس الحديث هذين العاملين في تفسير الأحلام .  
ولكن الأديان تذكر ذلك ، وتذكر قسمًا ثالثًا من الرؤى هو :  
الرؤيا الصادقة ..

إنها تذكر الرؤيا التي من النفس .  
وتذكر الرؤيا التي من الشيطان .  
وتذكر الرؤيا التي من الملك .  
وتذكر الرؤيا التي من الله تعالى .  
والفرق بين الرؤيا التي من الملك والرؤيا التي من الله تعالى إنما  
هو فرق في الوضوح .

وتقول السيدة « عائشة » رضى الله عنها :  
« أول ما بدىء به رسول الله ﷺ ، من الوحي : الرؤيا  
الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح !!  
وهذا النوع يسمى الرؤيا الصادقة ، ورؤيا الأنبياء حق . ولقد  
آمن سيدنا إبراهيم عليه السلام برؤياه في أمر خطير ، هو ذبح  
ابنه « إسماعيل » وصارحه قائلاً :

﴿ يَا بَنِي إِبْرَاهِيمَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وآمن سيدنا إسماعيل « برؤيا والده ، واعتبرها أمراً ، وقال لوالده :

---

(١) الصافات : ١٠٢

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾<sup>(١)</sup> .

وسورة سيدنا يوسف « تبتدىء برؤيا .

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وينصحه أبوه أن لا يقص رؤياه على إخوته ، حتى لا يكيدوا له كيداً .

ويأخذ والده فى شىء من تعبير هذه الرؤيا فيقول له .

﴿وكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وفى أواخر السورة يقول القرآن الكريم عن سيدنا يوسف « .

﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ، وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup> .

وسورة « يوسف » على وجه العموم بها عدة رؤى ، وبها تعبيرها .

وقد استعمل القرآن لفظ التأويل ..

---

(١) الصفات : ١٠٢ .

(٢) يوسف : ٤ .

(٣) يوسف : ٦ .

(٤) يوسف : ١٠٠ .

وأبان القرآن أن هذا التأويل هو منحة من الله تعالى ، يقول  
سيدنا « يوسف » شاكراً لله أنعمه :

﴿رب قد آتيتنى من الملك، وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾<sup>(١)</sup> .  
﴿هذا تأويل رؤياى من قبل﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد تحدث من منحهم الله تعالى تأويل الرؤيا عن شروط ، وعن  
سمات للرؤى الصادقة ، منها :

- ١ - أن يكون فى الرؤيا مفتاح لتأويلها ، إذا كانت رمزية ،  
وقد تكون الرؤيا صريحة ، وفى هذه الحالة لا تحتاج إلى مفتاح .
- ٢ - وأن يكون الإنسان فى أثنائها هادئاً ، حتى الرؤى الجنسية ،  
فإنها لا يصاحبها انفعال ولا إثارة .
- ٣ - وأن يتذكرها الإنسان فى وضوح ، حتى لكانها مطبوعة  
فى نفسه .

والرؤى الصادقة منح وهبات .

وتأويلها منح وهبات ، وتعلم وتلقين .

وإذا ما جئنا الآن إلى الإمام « سعيد » فإن عدة ظروف تكاثفت  
لتجعله من المؤولين ، منها :

دراسته العميقة للقرآن والسنة ، وكل من درس القرآن والسنة

---

(١) يوسف : ١٠١ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

فى استفاضة فإنه يمر عليه دلالات ورؤى لرسول الله ، ﷺ ،  
ولغيره ، ويرى تأويلها .

ومن المعروف أن رسول الله ، ﷺ ، كان يسأل الصحابة حينما  
يلتقى بهم فى الصباح عن رؤاهم ، وكان يعبرها لهم ، وكان أحياناً  
يطلب من « أبى بكر » رضى الله عنه تعبيرها .

ومنها ورعه وتقواه ، وهذا يقود إلى أمرين :

( أ ) صفاء النفس .

( ب ) الإلهام أو الفتح .

وإذا أضيف الورع والتقوى إلى العلم بالكتاب والسنة ، وصل  
الإنسان إلى صفاء للنفس أصفى ، وإلى إلهام يتوالى وفتح مشرق .  
وكل ذلك كان عند « سعيد » ..

والمؤرخون « لسعيد » يضيفون عاملاً فى غاية الأهمية :

إنهم - أولاً - يتحدثون عن خاصية التعبير عند « سعيد » ،  
فيقول « ابن قتيبة » مثلاً :

« كان « سعيد » أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس للرؤيا » .

أكان « ابن قتيبة » يربط بين الفقه الغزير وبين السر فى تعبير  
الرؤيا ؟

إن المؤرخين على كل حال يعتبرون « سعيداً » من أعبر الناس  
للرؤيا ، ويذكرون أمثلة من المعبرين ، ويذكرون بالنسبة « لسعيد »  
سلسلة :

أما الأمثلة فيقول « القرطبي » :  
 « كان » يوسف « عليه السلام أعلم الناس بتأويل الرؤيا » .  
 وكان نبينا ، ﷺ ، نحو ذلك .  
 وكان « الصديق » رضى الله عنه من أعبر الناس للرؤيا .  
 ونحو أو قريب منه « سعيد بن المسيب » فيما ذكروا .  
 أما السلسلة بالنسبة « لسعيد » ، فيقول « الواقدي » :  
 كان « سعيد بن المسيب » من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ  
 ذلك عن « أسماء بنت أبي بكر » وأخذته « أسماء » عن أبيها أبي  
 بكر « رضى الله عنه .  
 ومن المعروف أن الإمام « محمد بن سيرين » كان من كبار المؤولين ،  
 ولتأويله غرائب عجيبة تذكر فتدهش ، وعن « سعيد » و « ابن  
 سيرين » يقول الإمام « الحافظ العراقي » :  
 أخذ « ابن سيرين » التعبير عن « ابن المسيب » .  
 وأخذه « ابن المسيب » عن « أسماء » .  
 وأخذته « أسماء » عن أبيها .  
 وكان « لابن سيرين » كلمات محفوظة ، يقولها للرجل إذا رأى  
 رؤيا وقصها عليه ، كان يقول له :  
 « خيراً رأيت » .  
 وكانت له قواعد عامة استمدّها من تأويلات رسول الله ، ﷺ ،  
 فهو يقول مثلاً :

« القيد فى النوم ثبات فى الدين » .

يقول الإمام « البخارى » : وكان يعجبهم القيد ، ويقال : القيد ثبات فى الدين .

وروى الإمام « البخارى » عن « عبد الله بن صباح » ، عن « معتمر » ، عن « عوف » ، عن « محمد بن سيرين » ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :

« إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ..

قال محمد [ابن سيرين] : وأنا أقول هذا ، قال : وكان يقال : الرؤيا ثلاث : حديث النفس ، وتخويف الشيطان ، وبشرى من الله ، فمن رأى شيئاً يكرهه ، فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل . قال : وكان يكره الغُلُّ فى النوم ، وكان يعجبهم القيد :

ويقال : القيد ثبات فى الدين .

وروى « قتادة » « ويونس » « وهشام » « وأبو هلال » ، عن « ابن سيرين » ، عن « أبى هريرة » ، عن النبى ﷺ .

وأدرجه بعضهم كله فى الحديث .

وحديث عوف آين .

وهو الحديث الذى روينا .

[عن ابن « سيرين » أنه سمع « أبا هريرة » يقول : قال رسول الله ﷺ : إذا اقترب الزمان]



وقال يونس : لا أحسبه إلا عن النبي ، ﷺ ، في القيد .  
قال « أبو عبد الله » : لا تكون الأغلال إلا في الأعناق .  
ويقول « سعيد » :

« التمر في النوم رزق على كل حال ، والرطب في زمانه رزق » .  
روى « مسلم » ، عن « أنس » ، قال : قال رسول الله ، ﷺ :  
« رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأننا في دار « عقبة بن رافع » ،  
فأوتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت أن الرفعة لنا في الدنيا ،  
والعاقبة في الآخرة وأن ديننا قد طاب » .  
أما عن زمن تحقق الرؤيا فقد يطول ، وقد يكون فوراً ، وقد  
يكون بين هذا وذاك .

ويقول سعيد :

« آخر الرؤيا أربعون سنة : يعنى في تأويلها » -  
وإذا جئنا الآن إلى نماذج من تأويله فإننا نبدأ بهذه الرؤيا ،  
الغريب تأويلها ، والتي تحققت كما أولها :  
عن عمر بن حبيب بن قريع ، قال :

« كنت جالساً عند « سعيد بن المسيب » يوماً ، وقد ضاقت  
على الأشياء ، ورهقني دين ، فجلست إلى « ابن المسيب » ما أدرى  
أين أذهب ، فجاءه رجل فقال :  
يا أبا محمد ، إني رأيت رؤيا .  
قال : خيراً رأيت ، ما هي ؟

قال : رأيت كأبي أخذت « عبد الملك بن مروان » فأضجته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد .

قال : ما أنت رأيته .

قال : بلى ، أنا رأيته .

فقال : لا أخبرك أو تخبرني .

قال : ابن الزبير رآها وهو بعثني إليك .

قال : لئن صدقت رؤياه قتله « عبد الملك بن مروان » ، وخرج من صلب « عبد الملك » أربعة كلهم يكون خليفة .

قال : فدخلت إلى « عبد الملك بن مروان » بالشام فأخبرته بذلك عن « سعيد بن المسيب » ، فسرّه ، وسألني عن « سعيد » وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لي بقضاء ديني وأصبت منه خيراً .

وروى « ابن سعد » أيضاً رؤيا في هذا الموضوع قال : قال رجل :

رأيت كأن « عبد الملك بن مروان » يبول في قبلة مسجد النبي ﷺ أربع مرات ، فذكرت ذلك « لسعيد بن المسيب » فقال : « إن صدقت رؤياك قام فيه من صلبه أربعة خلفاء » .

وعن « شريك بن أبي نمر » قال :

قلت « لابن المسيب » : رأيت في النوم كأن أسناني سقطت في يدي ثم دفنتها ، فقال « ابن المسيب » : « إن صدقت رؤياك دفنت أسنانك من أهل بيتك » .

وقال رجل « لابن المسيب » :

إني أراني أبول في يدي ، فقال :

اتق الله ، فإن تحتك ذات محرم ، فنظر فإذا امرأة بينه وبينه رضاع .

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد ، إني أرى كأنني أبول في أصل زيتونة ، قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فإذا امرأة لا يحل له نكاحها .

وعن « الحصين بن عبيد الله بن نوفل » من بني نوفل بن عدى ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال :

طلبت الولد فلم يولد لي ، فقلت « لابن المسيب » إني أرى أنه طرح في حجرى بيض ، فقال « ابن المسيب » الدجاج عجمي ، فاطلب سبيًا إلى العجم ، قال : فتسريت فولد لي وكان لا يولد لي .

وبعد : فإن الرؤى الصادقة حقيقة واقعة ، وإذا كان علم النفس الحديث لا يذكرها ، فذلك لأنه يدور في فلك المادة ، أما المؤمنون فإنهم يسرون على ضوء من الكتاب المبارك ، وعلى ضوء من سنة رسول الله ﷺ ، وعلى ضوء من الواقع الذي لا ينكره إلا من على بصيرته حجاب ، يحجبها عن النور والإشراق .

## الفضل السابع وفاته

ومضت الأيام بسعيد مجاهدًا في سبيل الله لا يفتر ؛  
مضت به متعلمًا ، وعالمًا ، ومعلمًا ؛ !  
مضت به ناصحًا لعامة المسلمين وأئمتهم .  
وقد جاء أحد الصحابة - قبل إسلامه - إلى رسول الله ، ﷺ ،  
فقال :

أبايعك على الإسلام ؟  
فقال رسول الله ، ﷺ : « والنصح لكل مسلم » .  
وبدأت الحياة تنتهي بسعيد ، وبدأت أيامه الأخيرة تنصرم يومًا  
بعد يوم .

ما هي صورته في أيامه الأخيرة ؟  
كان حاد الذهن ، متنبها لما يقتضيه الشرع .  
إنه يتجه إلى أهله فيقول في حزم :  
« إذا مت فلا تضربوا على قبري فسطاطًا ، ولا تحملوني على  
قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحدًا ، حسبى  
من يبلغنى ربي ، ولا يتبعنى راجزهم هذا » !

ولا يكتفى بذلك ، وإنما يشهد على ما نصح به أهله :

عن « زرعة بن عبد الرحمن » ، قال :

شهدت « سعيد بن المسيب » - يوم مات يقول : « يا زرعة » :  
إني أشهدك على ابني « محمد » لا يؤذن بي أحداً ، حسبي أربعة ،  
يحملونني إلى ربي ، ولا تتبعني صائحة تقول فيّ ما ليس فيّ ؟

ويتحدث « سعيد بن المسيب » إلى الناس عامة فيقول :

أوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث :

« ألاّ يتبعني راجز ، ولا نار ، وأن يعجل بي ، فإن يكن عند  
ربي خير فهو خير مما عندكم » .

ومع مرضه فإنه ما كان يترك أمرين :

الأول منهما : الاستمرار في إفادة الناس .

يقول صاحب البداية : وكان « سعيد بن المسيب » من أروع  
الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول  
الدنيا ، والكلام فيما لا يعني ، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث .

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث ، فجلس فحدثه ،  
ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعنّ ؟

فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ، ﷺ ، وأنا  
مضطجع !

أما الأمر الثاني : فهو الصلاة .

يقول « ابن سعد » في طبقاته : عن « عبد الرحمن بن حرملة » قال :

رأيت « سعيد بن المسيب » في مرضه يصلي مضطجعا مستلقيا ،  
فيوميء برأسه إلى صدره إيماء ولا يرفع إلى رأسه شيئا ، وقال  
« سعيد » :

المريض إذا لم يستطع الجلوس أو ما إيماء ، ولم يرفع إلى رأسه  
شيئا<sup>(١)</sup> .

ويقول « عبد الرحمن بن حرملة » أيضا : دخلت على « سعيد  
ابن المسيب » وهو شديد المرض وهو يصلي الظهر ، وهو مستلق  
يوميء إيماء ، فسمعتة يقرأ بـ ( الشمس وضحاها ) !

بيد أن أمرا آخر كان « سعيد » متنبها له وهو في مرضه ،  
وهو أمر المال الذي كان عنده ثمرة لتجارته المحدودة .

ما هو موقفه منه ، وهو في لحظاته الأخيرة ؟

عن « يحيى بن سعيد » قال : لما حضر « سعيد بن المسيب »  
الموت ترك دنائير ، فقال :

« اللهم إني أعلم أنك تعلم أنني لم أتركها إلا لأصون بها حسبي وديني » .  
ومات « سعيد بن المسيب » .

يقول صاحب شذرات الذهب : في سنة أربع وتسعين : توفي  
الإمام السيد الجليل « أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي المدني »  
أحد أعلام الدنيا ، سيد التابعين .

---

(١) الإيماء : الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب ، وإنما يريد هنا الإيماء  
بالرأس .



ويقول « ابن حجر » مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين .  
والمشهور من هذه الأقوال أنه توفي سنة أربع وتسعين ، وقال  
« السخاوي » : هو الصحيح .

ويقول « عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة » :  
شهدت « سعيد بن المسيب » يوم مات ، فرأيت قبره قد رش  
عليه الماء .

ونختتم ذلك بما روى عن « مكحول » : قال :  
لما مات « سعيد بن المسيب » استوى الناس ، ما كان أحد يأنف  
أن يأتي حلقة « سعيد بن المسيب » ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا  
وهو يقول :

« لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم »

رحمه الله رحمة واسعة ، يقول سبحانه :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ  
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ ،  
لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) يونس : ٦٢ - ٦٤ .

## فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة .....	٥
<b>الفصل الأول : حياته</b> .....	١١
(١) عن حياته .....	١١
(٢) عن حياته .....	٢٣
(٣) عن حياته .....	٣١
<b>الفصل الثاني : طابعه</b> .....	٣٩
<b>الفصل الثالث : امتحان ومحنة</b> .....	٥٩
(١) امتحان ومحنة .....	٥٩
(٢) امتحان ومحنة .....	٦٧
(٣) امتحان ومحنته .....	٧٥
(٤) امتحان ومحنته .....	٨٢
<b>الفصل الرابع : سعيد بن المسيب</b> .....	٨٩
(١) المحدث .....	٨٩
(٢) الفقيه .....	٩٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس : حكمه	١٣٣
من حكمه	١٣٣
الفصل السادس : تعبيره للرؤى	١٣٧
تعبيره للرؤى	١٣٧
الفصل السابع : وفاته	١٤٧
وفاته	١٤٧

---

رقم الإيداع	١٩٩٦/٤٣٢٣
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5267-0

١ / ٩٣ / ٧٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.١٠)



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم  
محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي  
والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي  
التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة  
العربية بأهميات الكتب بين تحقيق وتأليف  
وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي  
وكتابه ، المنقذ من الضلال ، و ، دلائل  
النبوة ، و ، القرآن في شهر القرآن ، إلى  
جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور  
الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم  
محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة  
الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين  
قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة  
في عرض أى موضوع أو مسألة تتعلق بأمور  
الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب  
والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة  
اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام  
كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع  
العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على  
مر العصور .

عبد الحليم محمود

كتاب المحاريف

٠٣١٩٢١/٠١

